الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الرحمن ميرة –بجاية –

كليّة الآداب واللغات

قسم اللغـة والأدب العربـي

تجليّات القضيّة الفلسطينية في الشعر المغاربي

عنوان المذكـرة

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

الإهداء

إلى أرض مبعث الأنبياء والمرسلين، وأولى القبلتين وثاني الحرمين ومسرى حبيبنا محمّد الصّادق الأمين.

إلى جميع شهداء الشّعب الفلسطيني الذين عطّروا بدمائهم الزّكيّة ثرى الأرض المباركة.

إلى الأسرى والجرحى الذّين جسّدوا بصمودهم معاني الصبر والرباط.

إلى التي كرّست حياتها من أجلي، إلى الفاضلة التي أنحني أمامها تحيّة إجلاء وتقدير لأقدّم لها ثمرة جهدي، أمي.

إلى من كلّله الله بالهيبة والوقار إلى من أحمل اسمه بكلّ افتخار "أبي" حفظه الله.

إلى العائلة الكريمة: مبارك، جميلة وزوجها عبد القادر، حسينة وزوجها خالد، أحمد وزوجه طاوس، مبروك وزوجه نجاة، محمد، إيمان، مارية، خديجة، هاجر أيوب وزينب.

إلى جدّتي: مارية

إلى حبّة الفؤاد: سلسبيل.

إلى جميع صديقاتي: فهيمة، نجلاء،

إبتسام، رنا ومنيرة.

إلى كل هؤلاء أهدي عملي هذا.

.

شكر وتقدير

أحمد الله تعالى وأشكره على تتمّة هذا العمل المتواضع.

ولا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذة المشرفة على هذه المذكرة "مولى فريدة" التي ساهمت فيها بالتوجيه والنصيحة والإرشاد طوال فترة الإعداد.

فالله نسأل أن يمدّ في عمرها، وأن يكللها بعين رعايته، وأن

يحفظها من كل مكروه لتظل سندا وذخرا لطلاب العلم.

كما لا يفوتني أن أشكر وأحيّي الأستاذ " شيبان" الذي أمدني بمراجع ونصائح

وتوجيهات قيّمة.

مقدّمة:

فلسطين: الجريمة، المأساة، الأسطورة، التواطؤ الدّولي، جبروت الشّرعيّة الدّوليّة، هي كلّ هذه الأمور مجتمعة، حيث تعتبر مأساة فلسطين من أفضح وأفضع قضايا العالم المعاصر، وأكثرها تعقيدا ومأساويّة! محورها الأساسي عمليّة اعتداء واغتصاب صهيوني للأرض الفلسطينيّة، بمباركة وتزكيّة وتواطئ بريطاني من خلال وعد "بلفور" (1917م)، والذي أقدمت عليه بريطانيّا الاستعماريّة واعدة بأرض لا تملكها ولا سلطة لها عليها.

إنّ الشعر العربي الحديث والمعاصر ومن ضمنه الشعر المغاربي كان ولا يزال أبلغ الظواهر الأدبية تجاوبا وتفاعلا مع ظروف المجتمعات والأمم، وذلك يعود لطبيعته وقدرته على التعبير عن القضايا التي تثير مشاعر النّاس وتمسّ دواخلهم، فقد رسم ملامح المأساة الفلسطينية والتمزّق الذي عرفته الأمّة العربية منذ حلول الفاجعة، كما شكّلت قضية فلسطين الدّامية بعدا مهمّا في الشعر المغاربي بتقديمها للشعراء مادّة غنيّة لا تنضب أجبرتهم بدافع أصيل على مطاوعة أشعارهم لواقع الأمّة المرير.

ولمّا كان الشّعراء لسان حال قومهم وأمّتهم، فقد صور شعراء المغرب العربي ألآم أمّتهم، وأمانيها، وأرهصوا وشاركوا في ثوراتها بسلاح الكلمة الحرّة المفعمة بالأمل والتحدّي والصمود في وجه المحتل ببعث روح النضال وتأصيل أركانه، وقد التزم الشعراء المغاربة بقضيّتهم الأولى، ولم يكن هذا الالتزام قيدا على الأدباء، لأنّهم اختاروا السّير فيه بدافع أصيل هو: حب الأرض العربيّة والغيرة على كرامة العربي المسفوحة، مؤمنين إيمانا راسخا بأنّ للكلمة الشّاعرة كفاحا يفوق كفاح السّلاح، فأقسموا أن يبقى الشّعر وفيّا لربيع الحيّاة.

إنّ المنعرج الخطير الذّي آلت إليه القضيّة الفلسطينيّة في عصرنا هذا والأوضاع المزرية التي يعيشها الشعب الفلسطيني في الداخل المحتل وفي الشتات وفي المخيمات، في ظل تخاذل الدول العربية على نصرتها من جهة، وتكالب الغرب الاستعماري عليها من جهة أخرى جعلنا بالدّرجة الأولى نخوض غمار هذا الموضوع –الذي حزّ في نفوسنا– من باب الشّعور القومي والإنساني والدّين الواحد، والأهم من ذلك كلّه علاقة المحبّة والأخوّة المتينة التّي تربطنا بإخواننا في فلسطين، بالإضافة إلى الرغبة في تبيان وفضح الجرائم والمخطّطات الصّهيونيّة الممارسة ضدّ أبناء هذا الشعب، من خلال النّماذج الشّعريّة التي أدرجناها والتي عبّرت وأسهمت بشكل

كبير في إيصال الحقيقة إلى الرّأي العام العربي والعالمي، ولا شكّ أنّ أهميّة البحث تكمن في كشف هذه النماذج الشعرية للواقع المرّ الذي يعيشه اخواننا الفلسطينيين في منذ وعد "بلفور" المشؤوم وإلى يومنا هذا، إضافة إلى إظهار مشاريع هذه الدّولة الصّهيونيّة التي هي بمثابة الورم المتحجّر في فلسطين، والذي ما يلبث أن ينتشر ليعمّ سائر الوطن العربي، فأطماع إسرائيل أبعد من أن تكون منحصرة في فلسطين بل هي توسعيّة، وفلسطين ماهي إلاّ بوابة لاختراق دول عربيّة أخرى، وهذا مكتوب بالبند العريض في حائط الكنيست الإسرائيلي: "حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النّيل!"

وعليه حاولنا من خلال بحثنا أن نجيب عن السؤال الإشكالي وهو: كيف تناول الشعراء العرب وبالتحديد المغاربة أحداث القضية الفلسطينية؟ وكيف تجلت أبعادها في أشعارهم؟

ولتحقيق أهداف الدراسة ارتأينا أن نقارب أشعار المغاربة مقاربة وصفية تحليلية وذلك لكشف تجلّيات القضية في الشعر المغاربي من خلال الأحداث التي مرّت بها وتحليلها لإبراز دور الشعر القومي في الدفاع عن فلسطين المغتصبة وشعبها المضطهد، فقد قدّمت المأساة للشعر المغاربي ديوانا دمويّا ضخما.

وقد استدعى موضوع البحث أن نقسّمه إلى فصلين وخاتمة، تطرّقنا في الفصل الأول الذي يمثّل الجانب النظري إلى تجليات القضية الفلسطينية في الشعر العربي، قسمناه إلى ثلاثة مباحث، تناولنا في المبحث الأول المحطّات التّاريخية التّي مرّت بها القضيّة، بنوع من الاختصار مع تفادي إسقاط الأحداث المهمّة التي غيّرت من مسار القضيّة، متضمّنا لأحداث القضيّة كرونولوجيّا ابتداء من وعد "بلفور" إلى يومنا هذا، أما المبحث الثاني عالجنا فيه كيفية تناول هذه القضيّة من طرف الشّعراء العرب وبعده في المبحث الثالث شعراء المقاومة الذّين لم يتوانوا عن رصد أحداث القضيّة والتّعريف بها من باب الالتزام بقضايا وطنهم وأمّتهم، أما الفصل الثاني الذي يحوي الجانب التطبيقي فقد تطرقنا فيه إلى تجليات القضيّة في الشعر المغاربي، قسمناه بدوره إلى ثلاثة مباحث، حاولنا في المبحث الأول الكشف عن تجليات القضية الفلسطينية في الشعر الجزائري ، لننتقل بعده في المبحثين الثاني والثالث إلى تجلياتها في الشعرين التونسي والمغربي.

في النهاية ختمنا بحثنا بحوصلة قدّمنا فيها أهمّ النتائج التي توصّلنا إليها جرّاء تحليل النّماذج الشّعريّة المقدّمة والتي تجلّت فيها القضيّة الفلسطينيّة بوضوح.

وقد اعتمدنا في بحثنا على جملة من المراجع العلميّة القيّمة والتي أفادتنا كثيرا، منها:

الكتابين المهمين لـ "صالح الأشتر": "مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر" و "في شعر النكبة"، والكتاب القيّم لـ "عبد الله الركيبي " والمعنون: "قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر".

وكأيّ بحث أكاديمي، اعترضتنا جملة من الصّعوبات التّي كانت عائقا أمام اكتمال بحثنا، أهمّها على الاطلاق قلّة المصادر والمراجع خصوصا التي تناولت القضيّة الفلسطينية في الشعر المغاربي لقلة الدراسات في هذا المجال.

وأخيرا لا ندّعي أننا ألممنا بكل جوانب الموضوع، لكننا نأمل أننا قد وفقنا ولو بقدر قليل في الكشف عن تجليات القضية الفلسطينية في الشعر العربي بشكل عام والشعر المغاربي بشكل أخص، وأن نكون قد أسهمنا في إفادة وتوجيه المطلّع على هذا البحث إلى أهمية هذا الموضوع الذي لم ينل حظه من الدراسة، ونحمد الله عزّ وجلّ الذي أمدّنا بالقوّة والإرادة على تتمّة هذا العمل المتواضع، مع إدراكنا أنّنا لم نف هذا الموضوع حقّه، ومهما ألممنا بتفاصيله وعالجنا ثغراته تبقى المعالجة ناقصة، وكما يقول الشّاعر:

لكلّ شيء إذا ما تمّ نقصان

فلا يغرّ بطيب العيش إنسان.

المبحث الأوّل: الإطار التاريخي للقضيّة الفلسطينيّة

فلسطين، بلاد موغلة في القدم، مهد الحضارات والديانات السّماوية الثلاث (اليهودية، الاسلام، والمسيحية)، يستنطق كل مكان في أرجائها تلك القدسية التي تحظى بها بين الأمم، رمزها المسجد الأقصى المبارك، ومن خلال موقعها الجغرافي الفريد ومكانتها المرموقة عند الأمم توالى عليها الغزاة والفاتحين، وتعرّضت في تاريخها المديد إلى ما لم يتعرض له أي موطن آخر على بقاع الأرض.

توالى الغزو والاستعمار على الأرض الفلسطينية الطّاهرة منذ قرون عديدة، وشهدت هذه البقعة من الأرض العربية أحداث جسام، كما شهد التاريخ على صمودها في وجه الجحافل من صليبيين ومغول وسواهما، لكن ما تعرّضت له في العصر الحديث كان أدهى وأمر نتيجة تآمر الغرب الاستعماري على العرب وتدبير من قوى الشّر والعدوان، التي داست على جميع المبادئ والقيم الإنسانية في سبيل الحفاظ على مصالحها، فهذه الأخيرة لا تريد للأمّة العربية " المنحدرة" أن تدرك ذاتها وتعي مصيرها، ولا تريدها أن تستيقظ من سباتها العميق، كما أنها تريد الخلاص من شرذمة من اليهود الذين كانوا يبثون سمومهم وأحقادهم

بين شعوبها والحاق أضرارها بالمجتمع العربي، لتنجح في الأخير في التخلص منها من خلال منحها وثيقة رسمية متضمّنة إيجاد وطن قومي يأوي اليهود ويلم شتاتهم، ألا وهو فلسطين؟ وما لبث هذا الوعد أن تحقق على أرض الواقع بعد سنوات قليلة، ليتحقق حلم اليهود بالعودة إلى أرض الميعاد –كما يزعمون– بعدما كان هذا الحلم في الماضي بعيد المنال.

تتربع القضيّة الفلسطينية على سويداء الأمّة العربية في العصر الحديث، وقد هزّت كيانها ولازالت همّها الأكبر، ونعني بها ذلك الخلاف والصراع العربي الاسرائيلي السّياسي والتّاريخي والديني في فلسطين، كما تعتبر من القضايا الّتي نتجت عن تحالف امبريالي صهيوني نتج عنها تأسيس كيان صهيوني على الأرض الفلسطينيّة الطّاهرة، من خلال اقتلاع شعب من أرضه وتشريده في أصقاع الأرض على مرأى عيون العالم والمجتمع الدولي، ليحلّ محلّه شعب هجين، فكارثة فلسطين إذن لم تكن احتلال لوطن أو لقطر من الأقطار، وإنما هو إنشاء وطن قومي يهودي على أنقاض شعب شرّد في مختلف أقطار الأرض.

فما هي التّطوّرات التّي عرفتها القضيّة الفلسطينيّة في إطار الصّراع العربي الإسرائيلي؟ وما هي امتداداتها الرّاهنة؟

الانتداب البريطاني على أرض فلسطين، ووعد بلفور:

مع انتهاء الحرب العالمية الأولى بنصر الحلفاء وغدرهم بالشريف حسين وثورته واقتسامهم مناطق النفوذ في العالم العربي، احتل الجيش الإنجليزي فلسطين، وأتمّ احتلال جنوبها ووسطها في ديسمبر (1917) وفي سبتمبر(1918) واصلوا احتلال شمال، وخلال هذه الفترة وصلت إلى فلسطين اللّجنة الصهيونية لدراسة الوضع فيها، ومن ثم بدأت الآلة الصهيونية تدور: تجمع المال وتشتري الأرض وتقيم عليها المستعمرات لأفواج المهاجرين وبدأت الخيوط الأولى للمأساة الجديدة تبرز لكل عين. [1]

[1]) _ينظر صالح الأشتر، مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، 1961م، ص11.

ومنذ ذلك الوقت فتحت بريطانيا بالقوة مشروع التهويد المنظم لأرض فلسطين، ثم وفّرت لنفسها غطاء دوليّا باستصدار قرار من عصبة الأمم في (24 جويلية 1922م) بانتدابها على أرض فلسطين، وتمّ تضمين وعد بلفور في صكّ الانتداب، حيث أصبح التزاما رسميّا معتمدا دوليا، وهو وعد أو تصريح "بلفور" الاسم الشّائع المطلق على الرّسالة التّي أرسلها "آرثر جيمس بلفور" إلى اللّورد "ليونيل وولتر دي روتشيلد" يشير فيها إلى تأييد الحكومة البريطانيّة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.[1] فكان هدا الوعد خاتمة جهود بريطانية وصهيونية مسعورة لم تنم لحظة، ومنذ صدوره تعلقت به أمال اليهود المشتتين في بقاع الأرض.

استلم اليهود "وعد بلفور" كلمات عاطفية مشجّعة تغذي أمالهم بالعودة إلى بلد يزعمون أن لهم فيه حقوقا تاريخية منذ ألفي سنة، ولكنهم استطاعوا خلال ثلاثين سنة أن يحيلوا الكلمات إلى حقيقة واقعة بجدّهم ودسّهم وكيدهم، فانطلقت الآلة الصهيونية تجمع المال ، وتشتري الأراضي العربية من أصحابها بأيّ ثمن، وتسجّلها ملكا أبديا للأمة اليهودية جمعاء،

[1] _ ينظر علي أكرم فضل مهاني، العلاقات الصهيونية البريطانية، في فلسطين، (1918م_ 1936)، رسالة ماجستير، جامعة الأقصى، غزّة، فلسطين، 2010م، ص90.

لتقسّمها قطعا وتؤجّرها للمهاجرين القادمين وتمنحهم القروض لبناء المساكن، وتساعدهم على الاستيطان، بتغطية وعطف من حكومة الانتداب الإنجليزية، وفي أشهر قليلة كانت الأرض الجرداء تتحول إلى مستعمرات زاهية وجنّات عامرة بالمهاجرين العاكفين على تعلّم اللّغة العبرية، والخاضعين لعملية صهر قومي تجمع أشتاتهم، وتنسّق أمورهم وتوحّدها.[1]

الثورة الفلسطينية الكبرى:

في ظلّ هذا الانتداب الجائر وحملات الهجرة اليهوديّة المتزايدة إلى أرض فلسطين لم يقف أبناء فلسطين مكتوفي الأيدي تجاه هذا العبث بمصيرهم وكرامتهم، وكانت نفوسهم مشحونة بالغضب، تعاني السّخط والكراهية ضدّ المستعمرين والصّهاينة، ممّا دفعهم دفعا إلى الثّورة، ورأوا أنّها السّبيل الوحيد لاسترداد وطنهم وكرامتهم، فقاوم الفلسطينيون هذا العدو الغاشم وتمثّل ذلك في الثورات والانتفاضات.

[1] _ ينظر صالح الأشتر، في شعر النكبة، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، 1961م، ص 14، 15.

نشأت المقاومة الفلسطينيّة على صنفين: مقاومة سلميّة مناهضة للاستيطان اليهودي تمثّلت في تأسيس بعض الجمعيّات الفلسطينيّة والأحزاب، حيث" **تميّز النصف الأوّل من الثلاثينات بازدياد النشاط السياسي والتفاعل الوطني مع الأحداث ، وتوجيه العداء بشكل مباشر وواسع ضد السلطات البريطانية باعتبارها " أصل الداء وأساس كل بلاء" وتشكّلت في هذه الفترة الأحزاب الفلسطينية ، وكان حزب الاستقلال أولها ظهورا في آب/ أغسطس 1932، وأسهم بشكل كبير في توجيه العداء ضد بريطانيا، لكنه ضعف منذ منتصف 1933أما الحزب العربي الفلسطيني الذي ظهر في آذار/مارس فقد أصبح الحزب الشعبي الأوّل وحضي بدعم الجماهير**."[1]

أمّا الصنف الثاني فتمثّل في المقاومة العسكرية والجهادية التي انتهجها الشعب الفلسطيني بعدما فقد القدرة والأمل في الحصول على حقوقه بالوسائل السلميّة والقانونية، فنشأت المقاومة المسلّحة التي تمثّلت في مناهضتها للاستيطان اليهودي وللانتداب البريطاني

[1] _بيان الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (1982، 1939)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين، 1981، ص 517، 521.

تمثّلت في عدّة ثورات، من أبرزها: ثورة "البراق" سنة (1929م)، وثورة "القسّام" سنة (1935م) بالإضافة الى "الثورة الكبرى" من(1936م_1939م)، حين قام الفلسطينيون بإضرابات عامة وقاطعوا المنتجات الصّهيونيّة والإنجليزيّة. [1]

ومع احتدام هذا الصّراع وبعد سبع سنين من الحروب أعلنت بريطانيا عام (1947م) أنّها ستترك فلسطين لمن يقيم فيها، وستسحب قوّاتها العسكريّة وجهازها الإداري، وكانت مطمئنّة أن كفّة اليهود هي الرّاجحة، على الرّغم من كونهم أقليّة: (ستّ مائة ألف يهودي مقابل مليون وثلاثة مائة ألف فلسطيني)، إلاّ أنّ وضعهم الاقتصادي والسّياسي والعسكري كان متميّزا عن الوضع الفلسطيني. [2]

طلبت بريطانيا من الأمم المتّحدة سنة (1947م) تقديم توصياتها وتمّ اقتراح مشروع تقسيم فلسطين في (29 تشرين الثّاني 1947م)، فقسّمت إلى دولتين فلسطينيّة ويهوديّة على أن تبقى القدس دوليّة، وتمّت الموافقة على الاقتراح من قبل (33) عضو مقابل رفض (13)

[1] _ ينظر أمين صالح محمود عبد ربه، الغربة والحنين للوطن في الشعر الفلسطيني، ص46.

[2] _المرجع نفسه، ص 55.

عضو، وبدعم من الاتّحاد السوفيتي والولايات المتّحدة الأمريكيّة، وامتناع بريطانيا عن التّصويت! [1]

الاحتلال الإسرائيلي الصّهيوني:

بعد صدور قرار التقسيم لم تجد بريطانيا سببا لبقائها في فلسطين فدورها قد انتهى والذي لم يكن سوى تهيئة الأرض وما تطلبه المنظمات الصهيونية من امكانيات حماية العمل الصهيوني والتستّر عليه حتى يوم قيام دولة إسرائيل. في الوقت الذي انسحبت فيه القوّات البريطانيّة من أرض فلسطين، أعلن قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين في (15ماي1948م)، فكانت معارك عنيفة حدثت بين اليهود والفلسطينيّين في مدينة القدس، وسقوط عدد من الفلسطينيين في يوم "القسطل" وقام اليهود أيضا بمذبحة "دير ياسين"،

[1] _ ينظر رقيّة زيدان، أثر الفكر اليساري في الشّعر الفلسطيني، دار الهدى، مصر، ط1، 2009م، ص 98.

حيث فتحت أمام الفلسطينيين أبواب الهجرة الطّوعيّة، كما أجبروا على الهجرة القصريّة، وبالمقابل كانت تفتح الهجرة لليهود من كلّ أنحاء العالم نحو فلسطين. [1]

النّكبة:

بعد إعلان نهاية الانتداب البريطاني على أرض فلسطين في 15 أيّار من سنة 1948، "**اندلعت الحرب فور صدور قرار التّقسيم، وتحمّل أبناء فلسطين أعباءها في الأشهر الستّة الأولى بمساعدة عدد محدود من المتطوّعين، إذ رفضت الدول العربية إرساء جيوشها إلى أن تخرج بريطانيا، وشكّل الفلسطينيون جيش الجهاد المقدّس بقيادة عبد القادر الحسيني، كما شكّلت الجامعة العربية جيش الإنقاذ من متطوعي البلاد العربية**."[2]

[1] –ينظر مازن البندك، أطلس الصّراع العربي الصّهيوني، دار القدس، بيروت، 1989م ص43.

[2] _ محسن محمّد صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، ص 61.

مثّل دخول الجيوش العربية قصّة مأساة أخرى، فحدثت أول مواجهة للعرب مع إسرائيل ودوّى الرصاص من جديد في الأرض المقدّسة ليسيل فيها الدم العربي المظلوم، ودخل جيش الإنقاذ العربي إلى فلسطين بقيادة هزيلة وجند خليط وسلاح مفلول فتوالت عليه الضربات وشنّ اليهود عدوانا وحشيا مقصودا على دير ياسين فنشروا به الذعر والخوف، وبهذا السلاح الماحق من الرعب الجماعي وانهيار الأعصاب أجلى اليهود العرب من "طبريا" و"حيفا" و"يافا" وعشرات المدن والقرى وتدفّق اللّاجئون على البلاد العربية المجاورة والضّفة الغربية من الأردن ،وهنا ظهر للعالم أن مجتمع العصابات لليهود في فلسطين أصبح دولة قائمة وأن المجتمع العربي فيها بدأ يلفظ أنفاسه ويتحوّل الى قطعان مذعورة من اللاجئين الهائمين على الدروب.[1]

[1]) _ينظر صالح الأشتر، مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر، ص11، 12.

ومنذ ذلك اليوم الأسود البغيض بدأت المهزلة العربية، عندما أعلنت الدول العربية السّبع الحرب على إسرائيل، وتخطّت فرق قليلة من جيوشها حدود فلسطين للقيام بنزهة حربية في الأرض المقدّسة، فقد أطبقت الدول العربية السّبع عليها، لتطرد منها العصابات الصهيونية، وتلقي بها في البحر، ولكنّها طردت عرب فلسطين وشرّدتهم من ديارهم لتقدمها سكنا للمعتدين الآثمين، ومرّ أسبوع وأسبوع والجيوش العربية تقتحم ما أقرّ التّقسيم إبقاؤه عربيا من الأرض الشهيدة، كانت الجيوش العربية متفرّقة، متخاذلة، قليلة العدد هزيلة الخبرة والتدريب والسلاح وأمامها عدوّ منظّم، مدرّب، قد عبّأ جميع قواه البشرية والمادية والعقلية والسياسية وفي يده أحدث الأسلحة.[1]

ولهذا كان على الدول العربية أن تقبل الهدنة الأولى لمدة شهر، تمكّن اليهود خلالها من تعزيز قواهم فالعرب سادرون في خلافاتهم، فلمّا عادت الحرب برز الخلاف في الجبهة العربية للعيان وانسحب الجيش الأردني والعراقي، وخلا الميدان أمام القوات الإسرائيلية

[1]) _ ينظر صالح الأشتر، في شعر النكبة، ص 42.

فاحتلّت بيسر عدّة مدن ومئات القرى ومساحات واسعة من الأرض العربية، وارتفع عدد اللاجئين في البلاد العربية عشرات الآلاف، وقبلت الدول العربية قرار مجلس الأمن بالهدنة الثانية، وتفاقم الخلاف بين الحكومات العربية، ، فلمّا عادت الحرب برز الخلاف في الجبهة العربية للعيان، وانسحب الجيش الأردني من "اللّد" و"الرملة"، فخلا الميدان أمام القوات الإسرائيلية فاحتلت بيسر عدة مدن ومئات القرى ومساحات واسعة من الأرض العربية، وهرب السكان على وجوههم هائمين، وقد باغتهم العدو في دورهم و وخلّفوا في أرضهم كل ما يملكون. [1]

تعرضت فلسطين للخذلان والمؤامرة، "**فلم يحدث في التّاريخ أن أجلي شعب ما وطرد من أرضه ليحلّ محلّه شعب آخر، يحدث ذلك في ظلّ مدنيّة القرن العشرين، وأمام سمع وبصر مجلس الأمن وهيئة الأمم المتّحدة والدّول الحرّة**". [2]

[1]) _ ينظر صالح الأشتر، مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر، ص 12.

[2]) _ ينظر أمين صالح محمود عبد ربه، الغربة والحنين للوطن في الشعر الفلسطيني، ص 52

وهكذا انتهت التمثيلية العربية في فلسطين بأن عقدت كل حكومة عربية الهدنة المنفردة مع إسرائيل، صاغرة ذليلة ثم راحت تتنصل من جريمتها في المأساة وتحمّل الأخرى مسؤولية النكبة والانكسار والهزيمة، وتخدّر شعبها بالتهديد بالجولة الثانية، ومرّت السنون حتى جاوزت العشر، مرت ثقيلة بطيئة الخطى وجيل المأساة ينتظر الفجر الموعود، ويتلهّف إلى خيال القائد المظفّر لجيش العروبة الموّحد، ويترقب انطلاقة الصيحة الرائعة من فمه إيذانا بالزحف العربي المقدّس. [1]

نتج عن هذا كله انهزام العرب، الذي نتج عنه احتلال "إسرائيل" لمعظم أرض فلسطين، " **وقامت العصابات اليهودية –الصهيونية – بتشريد حوالي 58 من الشعب الفلسطيني من أرضهم (شرّد بالقوّة حوالي 700ألف من أصل مليون و390ألف) إلى خارج الأرض التي أقام عليها اليهود كيانهم بينما شرّدوا 30ألف آخرين إلى مناطق أخرى في داخل الأرض المحتلة نفسها، ودمّر الاحتلال 487 قرية من أصل 585 كانت قائمة**

[1]) _ ينظر صالح الأشتر، مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر، ص 13.

قبل الحرب، وارتكب 34 مجزرة خلال حرب 1948 بمدنيين فلسطينيين في أثناء عملية التهجير، وكان من أشهرها مذبحة "دير ياسين" التي اعترف الصهاينة أنفسهم بذبحهم وقتلهم ل 2254 رجلا وامرأة وطفلا."[1]

إنشاء منظمّة التحرير الفلسطينية:

أسّس الفلسطينيون في (ديسمبر 1964م) منظّمة التّحرير الفلسطينيّة التي نص سياقها على اعتبار العمل المسلّح الوسيلة الوحيدة لتحرير فلسطين، وعدم التنازل عن أي جزء منها وانتخب "أحمد الشّقيري" رئيسا للمنظّمة والذي كلّف بدراسة القضية وسبل تحريكها وتنشيطها وفيها قرّر انشاء جيش التحرير الفلسطيني، كما قامت المنظمة بعدد من الجهود التعبوية والإعلامية ، ورحّب الفلسطينيون بشكل عام بإنشائها باعتبارها تمثيلا للكيانية الفلسطينية والهوية الوطنية التي جرى تغييبها سابقا نصّ سياقها على اعتبار العمل المسلّح الوسيلة

[2]) _ إبراهيم أبو جابر، المجتمع العربي في إسرائيل_ المدخل إلى القضية الفلسطينية_، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمّان، الأردن، 1997، ص55.

الوحيدة لتحرير فلسطين، وترأّس "ياسر عرفات" المنظّمة الوحيدة لتحرير فلسطين منذ سنة (1969م) إلى غاية (2004م)، واعترف العرب بهذه المنظّمة في مؤتمر القمّة العربي سنة (1974م) كممثّل شرعي ووحيد للشّعب الفلسطيني، وألقى "ياسر عرفات" خطابا في الأمم المتّحدة، هذه الأخيرة التّي منحت للمنظّمة الفلسطينيّة صفة ملاحظ بالجمعيّة العامة. [1]

النّكسة:

خلال أيام الهدنة الثانية حين كانت الحكومات العربية ماضية في تناحرها وشقاقها اغتنم اليهود الفرصة فجمعوا قواهم وجهّزوا عتادهم وأسلحتهم ودرّبوا جيوشهم ونظمّوها.

" **وبعد حالة من التصعيد المتبادل، قامت فيه مصر بإغلاق مضائق "تيران" في البحر الأحمر، وطلبت من مراقبي الأمم المتّحدة على حدودها المغادرة، وأعلنت البلاد العربية استعدادها لمعركة المصير وتحرير فلسطين.**"[2]

---

[1]– ينظر محسن محمّد صالح، القضيّة الفلسطينيّة خلفيّاتها التّاريخيّة وتطوّراتها المعاصرة، مركز الزّيتونة للدّراسات والاستشارات، بيروت، ط2، 2012م، ص 80، 116

[2] _ محسن محمّد صالح، القضيّة الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، ص 81

وفي الخامس من حزيران عام (1967م) اندلعت الحرب العربية الإسرائيلية، حين خرجت مقاتلات وقاذفات إسرائيليّة من نوع "ميراج" وبدلا من الرّجوع إلى قواعدها اتّجهت إلى الجنوب، وكانت الأجواء المصرية خالية من الطّائرات، فغارت الطّائرات الإسرائيلية وضربت عشر مطارات مصريّة، وخلال السّاعتين والخمسين دقيقة التّي استغرقها الهجوم الجوّي تمّ تدمير سلاح الجو المصري كسلاح ذي فعاليّة، وكان "عبد النّاصر" قد قال في كتاب استقالته أنّ إسرائيل كانت تقاتل بثلاثة أضعاف قوّتها، وذلك بسبب الاستعمال المكثّف لسلاح الجوّ. [1]

ثمّ جاءت الهزيمة بعد أن احتلّت إسرائيل شبه جزيرة سيناء وهضبة الجولان والضّفة الغربيّة والقدس الشّرقية، ودمّرت مطارات سوريا والأردن، فقد كان طعم هذه الهزيمة شديد المرارة بالغ القسوة ذلك للمفارقة المذهلة بين الأمل الذي كانت أجهزة الإعلام تبشّر به، والقوّة العسكريّة الغازية التي ترسم لها صورا زاهية وبرّاقة، وبين الواقع الكئيب الذي انتهينا إليه،

[1]- ينظر رقيّة زيدان، أثر الفكر اليساري في الشّعر الفلسطيني، ص115.

ألقى بالجميع من أعلى القمّة الطّافحة بالأمل إلى قاع الهاوية الحافلة بالذّل وصنوف الإحباط واليّأس والضّياع. [1]

فصحت الجماهير العربية والإسلامية على هول كارثة لم يكن يحسب لها حساب، واكتشفوا مدى زيف وخداع ووهم الوعود والآمال التي غذّتهم بها الأنظمة العربية التي كانت كل الآمال تصب عليها، فأحدثت النكسة جرحا غائرا في الكرامة العربية اثر هذه الهزيمة المفجعة، "**فقد تمّ تدمير أسلحة الطيران المصرية والسورية والأردنية وهي ماتزال قابعة في مدرجاتها، وتمّ تدمير 80% من عتاد الجيش المصري، واستشهد حوالي 10ألاف مقاتل مصري و6094 مقاتلا أردنيا وألف مقاتل سوري، فضلا عن الجرحى، وكان من نتائج هذه الحرب تشريد 330 ألف فلسطيني، وضعفت الثقة في الأنظمة العربية، وسعى الفلسطينيون إلى أخذ زمام المبادرة بأيديهم ونمو الحركة الوطنية الفلسطينية أكثر وأكثر، غير أن أحد أبرز النتائج المؤسفة هو أن تركيز الأنظمة العربية بل و منظمة التحرير**

[1]_ ينظر لطفي الخولي، حرب يونيو 1967 بعد 30 سنة، مؤسّسة الأهرام، مصر، ط1، 1997م، ص86، 87.

الفلسطينية فيما بعد، قد صار على استعادة الأرض المحتلة سنة 1967(الضفة والقطاع) أي 23% من أرض فلسطين، والاستعداد الضمني للتنازل عن الأرض المحتلة سنة 1948 والتي قامت كل هذه الحروب والمنظمات أساسا لتحريرها."[1]

الكفاح الفلسطيني المسلّح:

تفاديا لموجات السخط الشعبي وتجاوزا لحالة الإحباط الناتجة عن حرب 1967 اضطرّت الأنظمة العربية إلى إفساح المجال للعمل الفدائي الفلسطيني، الذي استطاع أن يبني قواعد قوّية وواسعة في الأردن ولبنان، فبرز خط الكفاح الشعبي المسلّح وحرب العصابات، واكتسبت منظمّة التحرير الفلسطيني زخما كبيرا، وتمكّنت في مؤتمر الزعماء العرب في الرباط في أكتوبر 1974من الحصول على اعتراف من طرف الدول العربية أنها ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني، وفي الشهر التالي حققت انتصارا سياسيا عندما دعي ياسر عرفات لإلقاء خطابه في مقر الأمم المتّحدة بنيويورك وتمّ قبول منظّمة التحرير

[1]) _ محسن محمّد صالح، القضيّة الفلسطينيّة خلفيّاتها التّاريخيّة وتطوّراتها المعاصرة، ص 82

الفلسطيني غضوا مراقبا، ولم تعد الأمم المتّحدة تتعامل مع قضية فلسطين كقضية لاجئين فقط، ومنذ سنة 1974عادت قضية فلسطين لتدرج بندا مستقلا على جدول أعمال الأمم المتحدة لأول مرّة، ومن أهم القرارات المعلنة نجد : حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره دون تدخل خارجي، وحقه في الاستقلال والسيادة الوطنية، وحقه في العودة إلى أرضه.[1]

مسار السّلام في الصّراع العربي الإسرائيلي:

بدأت الاتّصالات بين مصر واسرائيل بعد حرب (73)، وتمّ توقيع اتّفاقيّة "كامب ديفيد" (Camp David) بين مصر وإسرائيل تحت رعاية الولايات المتّحدة الأمريكيّة في سبتمبر، استعادت بعدها مصر سيناء مقابل اعترافها بإسرائيل! [2]

اجتياح لبنان:

(1)_ينظر محسن محمّد صالح، القضيّة الفلسطينية خلفياتها التاريخيّة وتطوراتها المعاصرة، ص 87. ا

(2)–المرجع نفسه، ص90.

يعتبر اجتياح الجيش الإسرائيلي للبنان الأضخم والأعنف، ففي يونيو (1982م) اجتاحت القوّات الإسرائيلية لبنان، واحتلّت جنوبه ووصلت قوّاتها إلى بيروت، غير أنه توقّف على أسوار بيروت حوالي ثمانين يوما حين واجهته المقاومة الفلسطينية وحلفاؤها، في الوقت الذي كان فيه العالم العربي والإسلامي والدولي يقف موقف المتفرّج، وكان الهدف من هذا الاجتياح انهاء المقاومة الفلسطينيّة الموجودة بجنوب لبنان. [1]

الانتفاضة الأولى:

الانتفاضة الأولى وكذلك سمّيت بالانتفاضة المباركة، أو انتفاضة أطفال الحجارة، حدثت شرارتها في يوم 09 ديسمبر 1987م، واستمرّت إلى غاية سبتمبر 1993م، كان ذلك أثر استشهاد أربعة عمال فلسطينيين في حادث دهس متعمّد في منطقة "جباليا" في مدينة "غزّة"، فانطلقت مظاهرات عارمة في سائر أنحاء فلسطين، وتوالى سقوط الشّهداء واتّسعت

[1]– ينظر محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة91.

المظاهرات لتضمّ أرجاء الضّفة والقطاع، وشارك فيها كافة أبناء الشّعب، تميّزت المرحلة الأولى من الانتفاضة بالمواجهات الشّعبيّة الواسعة، والاضطرابات والمظاهرات ومقاطعة الإدارة المدنيّة الصّهيونيّة، وبعد نحو أربع سنوات أخذت تبرز العمليات المسلّحة ضدّ الصّهاينة.[1]

إعلان قيام دولة فلسطين:

في 15 نوفمبر 1988م اجتمع المجلس الوطني الفلسطيني بالجزائر، وأعلن قيام دولة فلسطين وفق قرار التّقسيم الصّادر من الأمم المتّحدة رقم (181)، هذا الإعلان يحدّد قيام الدولة على قطاع غزّة والضّفة الغربيّة التّي تخضع حاليا للاحتلال الاسرائيلي منذ (1967م). [2]

اتّفاقيّات السّلام:

[1]ـ المرجع نفسه، ص103

1) _ ينظر محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، ص103.

بدأ الحوار الرّسمي بين الفلسطينيّين واسرائيل في مدريد (1991م) بحضور عدّة دول، ونفس الوقت جرت مفاوضّات سريّة، وأدى ذلك إلى توقيع اتّفاق "أوسلو" (إعلان مبادئ) في 13 سبتمبر 1993م. [1]

انتفاضة الأقصى:

انطلقت هذه الانتفاضة في سبتمبر 2000م رفضا لزيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي "أرييل شارون" المسجد الأقصى المبارك مع عدد من الجند المدجّجين بالسّلاح، وهي الزّيارة التّي تفجّرت غضبا وتفصّدت دما، فاجتاحت فلسطين كلّها انتفاضة عارمة، وثورة شاملة شارك فيها كلّ الفلسطينيين، وساد الغضب أوساط المسلمين، سقط خلالها آلاف الشّهداء، وعشرات الآلاف جرحوا وأصيبوا واعتقلوا، وآلاف البيّوت قد هدمت، ومئات المعامل والمصانع قد دمّرت، وآلاف أشجار الزّيتون قد اقتلعت وتوسّعت المستوطنات الإسرائيلية،

[2]) _المرجع نفسه، ص104.

وأغلقت الجامعات والمعاهد وتعطّلت الدّراسة، وعاث "شارون" في أرض فلسطين فسادا وخرابا.[1]

العدوان على قطاع غزّة:

نفّذت إسرائيل في أواخر (2005م) انسحابا أحادي الجانب من قطاع غزّة موجّهة بذلك سياسات هادفة للفصل بين قطاع غزّة والضّفة الغربيّة سياسيّا وعسكريّا واجتماعيّا وجغرافيّا، فجاءت عمليات القصف الإسرائيلي المتكرّر لقطاع غزّة منذ عام (2007م) حتّى يومنا هذا، شنّت خلالها إسرائيل ثلاث عمليّات عسكريّة (2008م، 2012م، 2014م)، موقّعة آلاف وبضع عشرات آلاف الجرحة وتدمير البنى التّحتيّة وتخريب اقتصاد القطاع مرّة كلّ عامين تقريبا، وألحق العدوان على قطاع غزّة خسائر بشريّة فادحة في صفوف الفلسطينيّين ستزداد خاصة أنّ أكثر من (150) مصابا في غرف الإنعاش، وانتشار عبوات ناسفة

[1]_ ينظر مصطفى اللّداوي، القدس الحزينة الثّائرة، www.amgadalarab.com (2019/03/30)

وصواريخ إسرائيليّة لم تنفجر بعد، تشير معطيات وزارة الصّحة الفلسطينيّة أنّ عدد الشّهداء بلغ ألفين ومائة وخمسة وسبعون(2175) شهيدا. [1]

الانتفاضة الثّالثة:

الانتفاضة الثالثة أو انتفاضة القدس وكذلك سميّت انتفاضة السكاكين وهي موجة احتجاجات وأعمال عنف تشهدها الضّفة الغربيّة وقطاع غزّة وإسرائيل منذ بداية (أكتوبر 2015م) حتّى الآن، تميّزت بقيّام فلسطينيّين بأعمال طعن ودهس متكرّرة إضافة إلى رشق الجنود الإسرائيليين بالحجارة، كما حاولت إسرائيل امتصاص هذه الانتفاضة بالقيام بإعدامات ميدانيّة للفلسطينيين بحجّة محاولتهم تنفيذ عمليّات طعن، ولعلّ قيّام المستوطنين الصّهاينة بحرق منزل "عائلة الدّوابشة" في (31 يوليو 2015م) أدّى إلى زيادة أعمال

[1] – ينظر عليّان الهندي، قراءة في العدوان الإسرائيلي على قطاع غزّة، منظّمة التّحرير الفلسطينيّة، مركز الأبحاث، شؤون فلسطين، العدد(657)، www.shuun.com (2019/04/15)

المقاومة الموجّهة ضدّ الإسرائيليّين وتزامنت الأحداث أيضا مع تنفيذ القوات الإسرائيليّة ضربات جوّية على قطاع غزّة التّي انطلقت منها صواريخ نحو إسرائيل.[1]

مع انطلاق هذه الانتفاضة يروي شباب فلسطين أرضها بدمائهم الزّكيّة، كتبوا بطولاتها بالسّكاكين، وهم شباب في مقتبل العمر أبوا إلاّ أن تكون أرواحهم فدا لفلسطين، ابتدأها الشّهيد "محمّد الحلبي" والشّهيد "فادي علوان" إضافة إلى شهيدات أخريات، ليتبعهم في ذلك شهداء آخرون.

[1]– ينظر مصطفى اللّداوي: الانتفاضة الثّالثة انتفاضة الكرام، وكالة فلسطين حرّة، www.palestineafree.com، (2019/04/15)

تجليات القضيّة الفلسطينيّة في الشعر العربي:

حاولت الأمّة العربيّة فيما انقضى من سنوات القرن العشرين أن تبحث عن ذاتها وتحدّد شخصيّتها بعد أن طمست معالم هذه الشّخصيّة بتأثير عوامل خارجة عن إرادتها وبدوافع استعماريّة أسكتت الألسن الحرّة في وطننا[1]، فبدأ الوعي القومي بالظهور في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر، وظهرت طبقة المفكّرين الذين قدّموا خدمات جليلة للقضيّة القوميّة، وبدأت الأقلام الأدبية تخطّ سطورها حول الصّراع العربي ضدّ الاستعمار منذ وعد "بلفور" المشؤوم، وعبّر العديد من الأدباء في شعرهم عن الأثر الذي خلفه هذا الوعد في نفس وضمير العربي، كونه يحمل في طيّاته موتا زؤاما للأمّة العربية، يقول الشاعر الأردني "مصطفى وهبي التّل" معبّرا عن الطعنة النجلاء التي حلّت في كرامة كل مسلم ومسيحي في الأرض الطّاهرة:

1)_ ينظر، مجموعة مؤلفين، دور الأدب في الوعي القومي العربي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1980، ص 309.

يا رب إن بلفور أنفذ وعده كم مسلما يبقى وكم من نصراني

وكيان مسجد قريتي من ذا الذي يبقى عليه إذا أزيل كياني

وكنيسة العذراء، أين مكانها سيكون؟ إن بعث اليهود مكاني؟ [1]

فعبّر الشّعر والنّثر عن الارتباط القومي الأصيل بين أبناء الأمّة التّي التأمت بعدها ورنّت في مسامعها أجراس الخطر الرّهيب الذّي يهدّد المجتمع، وكثرت الدعوات الشعرية لخوض المعركة، والقتال ضد المستعمرين الانجليز حماة اليهود «**ولا نحسب أنّها أجمعت على أمر كإجماعها على مأساة فلسطين، وإذا كانت المشاعر العربيّة في كلّ مكان تركب المأساة فصلا فصلا فتخرج فيضا غاضبا قوامه آلاف القصائد والخطب التّي تعكس المشاعر القوميّة المتدفّقة، والعاطفة الجيّاشة والثورة العارمة، فإنّ القضيّة العربيّة احتلّت مساحات واسعة في دواوين الشّعراء بل خصّتها البعض بدواوين كاملة، فكما شاركت البندقّية في الكفاح فقد شاركت بالكلمة الشّاعرة، ليس على أرض فلسطين فحسب، بل**

[1]) _ مجموعة مؤلفين، دور الأدب في معركة التحرر والبناء، مؤتمر الأدباء العرب الخامس، مطبعة العاني، بغداد، 1965، ص 170.

على كلّ أرض باركها اللّه بلغة القرآن الكريم، فساهم الشّعر بذلك في التّبعيّة وتعميق الوعي القومي الوجودي. حتى عدّ الشّاعر (دواعيه وحدة) أبناء الأمّة شاء أم أبى، ونحن في واقعنا هذا بأمس الحاجة إلى هذا الأديب المشروع وذلك لأنّ الأدب الذّي لا يحمل فكرة ولا يحتضن قضيّة ولا يناصر إنسانا ليس من الأدب بشيء.» [1] فقد رافق الشعر العربي قضايا الأمّة العربية، ووقف إلى جانب الانسان العربي فساهم في تعميق وعيه وشدّ أزره لمواجهة كل التّحديات الداخلية والخارجية التي كان يجابهها، ذلك أن الارتباط بالواقع ومعالجة قضاياه هو المنفذ الرّحب للشاعر العربي.

فكان الشعر صرخة تأزّز كلما أطلق مقاوم بندقيته في وجه العدوان الصهيوني الغاشم، حين تخضّب الشعر بالعذابات والغضب، وجاء وعد بلفور المشؤوم محذّرا للأمة العربية من مواصلة السبات العميق، وللشاعر المهجري رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) قصيدة طويلة يهزأ فيها من مقدم ذلك الوعد الأهوج لعدو صهيوني امبريالي شرس، لا يحتوي

[1]- عناد غزوات، آفاق في الأدب والنّقد، وزارة الإعلام والثّقافة، بغداد، العراق، ط1، 1990م، ص152، 153 .

قاموسه الحضاري إلا على ألفاظ الفتك والقتل، داعيا العرب إلى التأهب للمعركة، فالواقع يقتضي أن نستعمل البندقية مكان الكلمة، نقتطف منها:

الحق منك ومن وعودك أكبر فاحسب حساب الحق يا متجبر

تعد الوعود وتقضي إنجازها مهج العباد خسئت يا مستعمر

لو كنت من أهل المكارم ولم تكن من جيب غيرك محسنا يا بلفر

يا عرب والثارات قد خلقت لكم اليوم تفتخر العلا أن تثأروا

يدعوك شعبك يا صلاح الدين قم تأبى المروءة أن تنام ويسهروا. [1]

ونجد الشّاعر الأردني "محمّد أبو غربيّة " يذمّ هذا الوعد وصاحبه الّذي فتح بابا للشّرّ حين جلب ذلك الشّعب المشؤوم، وذلك في قوله:

بلفور بئس الاسم إنّك ظالم *** وطليعة الأشرار من وكر العدا.

فإذا الجريمة في حمانا أظلمت *** بكوارث عمّت ومن غدرٍ بدا. [2]

[1] _ صالح الأشتر، مأساة فلسطين في الشعر المعاصر، ص 50.

2) - أمين صالح محمود عبد ربه، الغربة والحنين للوطن في الشعر الفلسطيني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة، 1977، ص 240.

تجليات النكبة في الشعر العربي:

بدأ العرض الشعري المتسلسل لمشاهد النكبة منذ ذلك اليوم المشؤوم –يوم الاحتلال الصهيوني–الذي بدأ فيه جند بني صهيون في غرس الرعب في نفوس أبناء فلسطين، ولهذا اليوم البغيض ذكريات سود عند شعراء النكبة، وهذه صرخة واحد منهم، وهو الشاعر الأردني "عيسى الناعوري"، يرسلها لاعنا ذلك اليوم الأسود معدّدا ضحاياه منددّا بأهواله [1]:

يا لعنة الزمن البغي *** ض أسوأ الأيام ذكرى

هذي ضحاياك الكثا *** ر تميتها الأيام قهرا

تقضي الحياة على الطوى *** وتلوك مسغبة وصبرا

يا صورة الجبن الأذ *** ل وأبغض الأيام طرّا

لا كنت من يوم به صار *** انتخاء العرب غدرا

[1]_ ينظر صالح الأشتر، في شعر النكبة، ص 41، 42

وكرامة الشعب العتيق *** هدرتها ومضيت هدرا.

وفي ذلك يقول الشاعر "محمّد الحوت":

أتطبق السّبع، إطباقا لتخرجها *** وتسكن المعتدي أزهى مغانيها

فهل سمعتم بحرب كالتي نكّبوا *** بها فلسطين واجتاحوا أهاليها

وشتّتوهم ضحايا هائمين على *** وجوههم بعد تركين العدى فيها

وعاد كل إلى الأوطان ترهقه *** رسالة كان في الأقصى يودّيها. [1]

كما كان لانهزام الجيوش العربية في فلسطين وقعا حادا في نفوس الأمة العربية، ممّا جعل "غسّان زقطان " يعبر عن مشاعر الخيبة عند العرب إثر هذه الهزيمة ونقض العهود واحتلال الأوطان، فسخر من الجيوش وسمّاها بجيوش الأصفار السبعة، حين قال:

جيوش السّبعة الأصفار كل *** تراجع حاملا غار القيود

[1])_ صالح الأشتر، مأساة فلسطين في الشعر المعاصر، ص42 .

يزفّ لحاكميه جناح كيد *** رماك بكل قتال مبيد. [1]

حلّت مأساة فلسطين طعنة نجلاء في نفوس الشعراء العرب، ونالت حظّا وفيرا في دواوينهم، ودخل الشاعر معترك الصراع مستشعرا بذلك حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه، **"فقد هزّت أهوالها ضمائر الشعراء العرب في كل قطر عربي، وأنطقتهم بشعر غزير وأوحت إليهم بصور شعرية لا نهاية لها، وكيف تنتهي صور المأساة مادام هناك مليون من المشرّدين على الدّروب، في كل بلد عربي تروي وجوههم الشاحبة وأجسامهم المعالة قصّة الجريمة العظمى لكل عين، وتذكّر كل ذي وجدان بعمق المأساة ووحشيتها ومن هنا لم يكن شعراء فلسطين وحدهم في مناحة النكبة، فالمأساة قومية جامعة، ويندر أن نجد شاعرا عربيا في أي قطر من أقطار العروبة لم يسهم في البكاء على البلد العربي الشهيد أو في مواساة المنكوبين، أو في بث روح الصبر والمقاومة والعزيمة للنّضال من جديد والاستعداد للجولة الثانية".**[2]

[1]_ صالح الأشتر، في شعر النكبة، ص 43.

[2]_ صالح الأشتر، مأساة فلسطين في الشعر المعاصر، ص 14.

فنجد الشاعر الشهيد "حسن خليل حسين" يوجّه حقده ويصبّ جام غضبه على بلفور "اللّئيم الماكر" الّذي قدّم وعده لليهود، ويؤكّد الشّاعر أنّ شعبه سوف يصمد صمود الجبال حتّى يحقّق الحياة الحرّة الكريمة على أرض وطنه، يقول في قصيدة له بعنوان "في ذكرى الضّياع، وعد بلفور المشؤوم":

قولوا له... قولوا لبلفور... اللّئيم الماكر

قولوا له... يا صاحب الوعد الحقير الجائِر

يا من أقمت عصابة البغي الحقود الفاجرِ

يا منشئ الطّغيان في البلد الجميل الطّاهرِ

إنّا سنبقى صامدين صمودَ شعبٍ قادرٍ

سنعود يا بلفور كالسّيل العظيم الهَادرِ

لنعيد حقًّا بعته ظلمًا... لخصمٍ غادرِ. [1]

1)_أمين صالح محمود عبد ربه: الغربة والحنين للوطن في الشعر الفلسطيني، ص 117.

وكان أقوى الأصوات وأعمقها ينبعث من قلب شاعر فلسطيني كبير أدرك بوعيه وبصيرته أن ليل المحنة قريب، ورأى قومه لاهين غافلين، فصرخ في النائمين يهز ضمائرهم، ويقوّي عزائمهم، ويصوّر لهم المستقبل الرهيب، ذلك شاعر فلسطين إبراهيم طوقان الذي يطالعنا من ديوانه أنين قلب جريح يقص في تفصيل حزين حكاية النكبة، مغمسة بالألم واللّوعة والخوف على مستقبل وطنه وأمته، فطوقان كان في شعره الوطني الذي يؤرخ نشأة النكبة صاحب رسالة، لقد أحب طوقان وطنه ومجّد فيه الجمال والبهاء: [1]

موطني الجلال والجمال والسناء والبهاء في رباك

والحياة والنجاة والهناء والرجاء في هواك في هواك

هل أراك

سالما منعما وغانما مكرما

هل أراك في علاك

[1]_ ينظر صالح الأشتر، في شعر النكبة، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، 1960،ص20،21

تبلغ السّماك

موطني. [1]

وقد تصدّى العرب، كما تصدّى الشعراء العرب والفلسطينيين للأفواج اليهودية المهاجرة برّا وبحرا وجوّا إلى فلسطين، بغطاء من الحكومة البريطانية المنتدبة بطرق غير مشروعة هذه الهجرة التي كانت تخفي وراءها نوايا خطيرة بغزو الأرض، فاندفع الشعراء معبرين عن سخطهم، محذرين من النوايا اليهودية الخادعة، ولعل أقوى الأصوات وأعمقها تندفع من قلب الشاعر "إبراهيم طوقان" في قصيدة بعنوان "الرقم 1000" في قوله:

أرى عددا من الشؤم لا كثلاثة وعشر لكن فاقه في المصائب

هو الألف لم تعرف فلسطين ضربة أشد وأنكى منه يوما لضارب

يهاجر أفا ثم ألفا مهرّبا ويدخل ألف سائح غير آيب

وألف جواز ثمّ ألف وسيلة لتسهيل ما يلقونه من مصاعب

[1]_ إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط2، بيروت، لبنان،1993، ص 264

وفي البحر آلاف كأن عبابه وأمواجه مشحونة بالمراكب

* * *

بني وطني هل يقظة بعد رقدة وهل من شعاع بين تلك الغياهب

فوالله ما ادري، ولليأس هبّة أنادي (أمينا) أم أهيب (براغب).[1]

ومن قلب الشاعر المحبّ لوطنه تنطلق النّقمة العارمة على المحتّل المستعمر، عندما أصبح العربي يرصف في الجوار والفقر والفساد، وأصبح المهاجرون اليهود كالطوفان يهددون العرب بالفناء:

منذ احتللتم وشؤم العيش يرهقنا فقرا وجورا وإتعاسا وافسادا

بفضلكم قد طغى طوفان هجرتهم وكان وعدا تلقيناه ابعادا. [2]

[1])_ إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 222.

[2])صالح الأشتر، في شعر النكبة، ص 20

وقد عبّر الشعر القصصي "**عن عمق الثورة ضد الاستعمار والإسرائيليين كما في ملحمة إبراهيم طوقان (الثلاثاء الحمراء) التي كانت نتيجة تجربة شعرية قاسية مرّ بها الشاعر في "ثورة البراق" واعدام الشهداء في صباح يوم الثلاثاء عام (1930)، وينهي الشاعر ملحمته وقد استشهد الشهداء الثلاث** [1] "، يقول في بعضها مخاطبا ملوك العرب الذين افتقدوا النّخوة:

إيه ملوك العرب لا *** كنتم ملوكا في الجود

قوموا اسمعوا من كل نا *** حية يصيح دم الشهيد

قوموا انظروا الوطن الذبيح *** من الوري إلى الوريد. [2]

وواصل طوقان بصوته الثوري المندفع الذي لم يتغير ولم يخبو في تعبئة روح الثورة في شعبه، والتغنّي ببسالة المجاهدين وبطولاتهم، فاستقرأ ضميرهم ونفذ إلى دواخلهم حين أدرك أن حركة الشعوب هي وحدها الحل المنقذ، يقول:

[3])_ مجموعة مؤلفين، دور الأدب في معركة التحرر والبناء، ص 316_317

[2])_ إبراهيم عبد الفتاح طوقان، ديوان إبراهيم طوقان، ص 38.

صامت لو تكلما *** لفظ النار والدما

قل لمن عاب صمته *** خلق الحزم أبكما

وأخو الحزم لم تزل *** يده تسبق الفما

لا تلوموه قـد رأى *** منهج الحق مظلما

وبــلادا أحبــها *** ركنها قد تهدما

وخصوما ببغيهم *** ضجّت الأرض والسما. [1]

ويقول في قصيدة "الشهيد" التي مجّد فيها الشهادة والفداء، حين هانت الحياة بالنسبة للشهيد مقابل الموت في سبيل الله والوطن، حيث نقل الشاعر بدقّة وروعة ما يثور في نفس الشهيد من عواطف، فقال:

عبس الخطب فابتسم *** وطغى الهول فانتقم

[1])_ صالح الأشتر، في شعر النكبة، ص 21.

رابط الجأش والنهى *** ثابت القلب والقدم

لم يبال الأذى ولم *** يثنه طارئ الألم

سار في منهج العلى *** بطرق الخلد منزلا

فهو رهن بما زعم. [1]

وكثرت الدعوات الشعرية في العراق لخوض معركة الكرامة ضد الاستعمار والصهيونية العالمية الطامعين في الأرض العربية، في محاولة منهم لتثبيت دعائم الإسرائيليين في أرض العرب فلسطين، ولعل أقوى الأصوات وأعمقها تندفع من قلب الشاعر " محمّد مهدي الجواهري " الذي دعا إلى استنهاض الهمم قبل فوات الأوان، مجسّدا في ذلك البطولة العربية التي ما استكانت يوما، يقول:

فاضت جروح فلسطين مذكرة جرحا بأندلس للآن ما التأم

يا أمّة غرّها الاقبال ناسية أن الزمان طوى من قبلها أمما

[1]_ إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، كلمات عربية، القاهرة، مصر، 2012، ص197.

كانت كحالمة حتى انتبهت *** عضّت نواجدها من حرقة

ندما

سيلحقون فلسطين بأندلس *** ويعطفون عليها البيت

والحرما

ويسلبونك بغداد وجلقة *** ويتركونك لا لحما ولا

وضما

يا أمّة لخصوم ضدها احتكمت *** كيف ارتضيت لخصيـم ظالما حكما

بالمدفع استشهدي ان كنت ناطقة *** أو رمت أن تسمعي من يشتكي الصمما

سلي الحوادث والتاريخ إن عرفا *** حقـا ورأيـا بغير القوّة احترما

لا تطلبي من يد الجبّار مرحمة *** ضـعي الحـما على هامة الجبّار قدما

تار الشباب ومن مثل الشباب إذن *** ريـع الحمـا وشواظ الغيرة احتدما

يأبى دم عربي في عروقهم *** أن يصبـح العربــي الحرّ متهضما. [1]

إن الشاعر ومثله كل الأمّة العربية لايزال يتذكّر نكبة الأندلس المريرة التي مازال وقعها حادّا على النفس العربية رغم مرور القرون،" **فالربط بين نكبة الأندلس والتّنبؤ بنكبة فلسطين أعطت للقصيدة محورها، فاندفع من الخيبة إلى الأمل، ومن التّشتت إلى الدعوة إلى الوحدة، ومن الاستكانة والخضوع إلى الكفاح والقتال من أجل الكرامة، ومن الاستخذاء في طلب العفّة والانصاف من الأعداء المساعدين للإسرائيليين إلى الدفاع عن الكرامة العربية، فإن الدماء العربية الحرّة لا ترضى الضيم والهوان.**"[2]

هذه الملامح هي أهم ما تطرق إليه الشعراء قبل النكبة، والتي كانت مفعمة بالحس الثوري والمشاعر القومية الفيّاضة التي كانت تنبعث من إحساس صادق " **والشعر في هذه الفترة شعر مباشر، فيه الكثير من الحث والدعوة للجهاد، وفيه من العاطفة والغنائية الشيء الكثير، ولكنه شعر يناسب تلك الفترة، حيث لم يكن الشعر آن ذاك إلا شعرا غنائيا**

[1]_ مجموعة من المؤلفين، دور الأدب في معركة التحرر والبناء، ص 218، 219

[2]_ المرجع نفسه، ص 312.

ومباشرا في الدعوات القومية والوطنية، ولكنّه سرعان ما تطوّر بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد أن تجرّع العرب غصاصة التّقسيم والتشرّد فلم يعد مباشرا كما كان بل اكتسب سماته الفنيّة الأصيلة وكان عونا للوقوف ضد التّقسيم وثورة عارمة تلهب المشاعر القومية في أرجاء الوطن العربي."[1]

إن مأساة فلسطين والنّكسات العربيّة المتواليّة ألهمت الشّعراء أحاسيس صادرة عن التزام داخلي، وقد استطاع الشّعر أن يعبّر عن هذه التّجربة الفلسطينيّة بكلّ ما فيها من قمع واستعمار الصّهاينة.

فأدّت هذه التجربة المرّة للسّنوات السّابقة إلى نضج الوعي ووضوح الرّؤية واليقين بضرورة تجاوز الواقع لصنع المستقبل واستعادة الماضي بتحرير الأرض والإنسان، ليزداد التحام الشّاعر بشعبه، ونضاله فكتب عن الفعل الثّوري، وهو العنوان المشترك بين الشعراء؛

[1])_ مجموعة من المؤلفين، دور الأدب في الوعي القومي العربي، ص 317.

أي الثّورة على الواقع، في حين اختلفوا في التّعبير عن هذه الثورة وطريقة دفاعهم عن القضيّة. [1]

شغلت النكبة بمآسيها وويلاتها وجدان الشاعر العربي، وأحس بعمق النكبة وبالأفق المدلهم الذي أخذ ينتشر في أرجاء الوطن العربي، "**فإن كانت نكبة فلسطين أعنف تجربة قاستها الأمة العربية في العصر الحديث، فإنّها أيضا أعظم تجربة يعانيها الأدب المعاصر، ذلك أن النكبة قدّمت لكل كاتب وشاعر، من مآسيها وويلاتها وأهوالها مادة للقول لا تنتهي، وكيف تنتهي ومليون من المشردين اللاجئين لا يزالون إلى اليوم هائمين على وجوههم، غرباء بائسين، تروي وجوههم الشاحبة ونظراتهم اليائسة، قصة النكبة و أحداثها، وتشكو أجسامهم المعلولة برد الكهوف والخيام البالية، بل كيف تنتهي والقزم اليهودي لا يخفي مطامعه النّابحة لتحقيق خريطة التوراة: "وهبتك يا إسرائيل ما بين دجلة والنيل**"[2]

[1]– ينظر سارتر ج.ب. الدّفاع عن المثقّفين، (تر): جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، 1973م، ص92

[2]_ صالح الأشتر، في الشعر النكبة، ص40

عبّر الشعراء العرب عن التشبّث بالقضيّة والدّعوة إلى المقاومة ووضع الحل في خانة النّضال بعيدا عن الحلول الفرديّة أو السّلبيّة، ومن الشّعراء الذين عبّروا عن أحداث تلك الفترة نجد: "نزار قباني" "أحمد زكي أبو شادي" و "بدر شاكر السّياب" و "محمود حسن إسماعيل" وعبد الوهاب البيّاتي" و "علي محمود طه" الذّي نظّم هذه القصيدة في سنة النّكبة، يدعو فيها إلى القتال لاسترداد الكرامة العربية يقول فيها:

أخي جاوز الظالمون المدى *** فحقّ الجهاد وحقّ الفدا

أنتركهم يغصبون العروبة *** مجد الأبوّة والسؤددا

وليسوا بغير صليل السيوف *** يجيبون صوتا لنا أو صدى

فجرّد حسامك من غمده *** فليس له بعد أن يغمدا

أخي أيّها العربي الأبي *** أرى اليوم موعدنا لا الغدا

أخي إن في القدس أختا لنا *** أعد لها الذابحون المدى

أخي قم إلى قبلة المشرقين *** لنحمي الكنيسة والمسجدا

أخي قم إليه نشق الغمار *** دما قانيا ولظى مرعدا. [1]

ويظلّ الشّاعر علي "محمود طه" في تحميسه للدّفاع عن أرض فلسطين وعن القدس الشّريف مناديا ومحمّسا إلى أن يقول:

فلسطين يفدي حماك الشّباب *** وجلّ الفدائي والمفتدي

فلسطين تحميك منا الصّدور *** فإمّا الحيّاة وإمّا الرّدى. [2]

وهذا "هاشم الرفاعي" يستنهض الهمم، داعيا أمّة العرب إلى الجهاد والنضال ضد المستعمر الغاشم الذي أخذ قطعة من وطنهم وهو يترصّد الباقي، باثّا فيهم روح الحماس والوطنية، يقول:

آن الجهاد فأقدم أيّها البطل *** وامسك حسامك واطعن قلب صهيون

جاءوا يريدون تقسيما فقل لهم *** والسيف يسطرهم لن نقبل الهونا. [3]

[1])_كامل السوافيري، الشعر العربي في مأساة فلسطين، ط2، دار المعارف، مصر، 1975، ص 466.

[2]) _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3])_ هاشم الرفاعي، الديوان، تحقيق محمّد حسن بريغش، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط2، 1985

وفي ظل هذا الواقع المتفسّخ الحقير الذي أخذ ينتشر في أرجاء الوطن العربي، حين بلغ في هذه الفترة مبلغا من الضعف يبعث على الشعور باليأس والإحباط، وطبيعي أن يمتلكهم اليأس وأن يملأ نفوسهم الغيظ واليهود يستلبون الأراضي ولازالوا يفعلون ذلك بمباركات غربية وتحت غطاء هيئة الأمم التي عدّها الشاعر من عصابات اللصوص، وذلك في رضى تام من الحكام العرب الذين لم يتوانوا في تقديم فلسطين لقمة سائغة لشذاذ الآفاق، فكانت صرخة الشاعر السوداني " عبد الرحيم عثمان " مدوّية في قصيدته " الضمير العالمي"، التي عبّر من خلالها عن ألمه وحزنه للحالة التي وصلت إليها بلاده العربية، يقول فيها:

فيم المجامع راح ينهزم *** حقّ بها ويعزّ بهتان

لو صحت النيّات والذمم *** لم يشق تحت الشمس انسان

لو لم تك الأهواء غالبة *** ومطامع تعدوا وتستبق

لم تخذلوا العرب واضحة *** غراء مثل الشمس تأتلق

تاه السلام وحار بينكم *** ويكاد يقضي نحبه طفلا

تتشدقون به وفعلكم *** يردي السلام ويورث القتلا. [1]

وفي ظل هذا السّلب الذي طال أرض فلسطين، يقف الشاعر "عمر أبو ريشة"، مستصرخا ومندّدا ومتحسّرا على الوضع الذي آلت إليه أمّته، يضمّد الجراح ويبعث الأمل في نفوس المنكوبين في هذه الأبيات التي تنمّ عن عمق احساسه بالمأساة، يقول فيها:

أمّتي هل لك بين الأمم *** منبر للسّيف أو للقلم

أتلقاك وطرفي مطرق *** خجلا من أمسك المنصرم

ألإسرائيـــل تعـلو راية *** في حمى المــهد وظل الحـرم

كيف أغضيت على الذل ولم *** تنفض عنك غبـار التّــهم

أو لم كنت إذا البغي اعتدى *** موجـة من لهـب أو مـن دم

[1]_ كامل السوافيري، الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين، ص 506

فيم أقدمت؟ وأحجمت ولم *** يشتف الثأر ولم تنتقمي. [1]

ويقول الشاعر السعودي " علي أحمد النعمي"، يصف الحال التي آلت إليها الأمّة، متسائلا كيف لعدو امبريالي صهيوني أن يؤسّس دولته عل الأرض العربية الطّاهرة، والعرب في خضوع واستكانة تامة، داعيا إلى ضرورة الفعل العملي في الصراع ضد العدو، فما نفع القول شعرا أو غير شعر، إن لم يعدله العمل، وهذا الهوان ستعقبه قوّة، يقول:

ها قد غضبنا وحيّرنا مواجعنا *** وما نقاسيه في شعر وفي خطب

قولا... وللقول دور في قضيتنا *** لكنّه دون فعل فاتر السبب

وأنه رغم كل الجهد يعجز من *** ردع الطغاة وكسب الفوز والغلب

فقد محى السيف مسلولا بلاغتنا *** و" السّيف أصدق أنباء من الكتب". [2]

[1])_ عمر أبو ريشة، ديوان عمر أبو ريشة، مطبعة دار العودة، بيروت، لبنان، 1998م، ج1، ص 7.

[2])_ علي أحمد النّعمي، جراح قلب، نادي جازان الأدبي، ط1، جازان، السعودية، 1989، ص 135، 136.

إنّ نكبة فلسطين ومشاهد مأساتها مازالت تلحّ على وجدان الشاعر العربي، وعندما فشلت الجيوش العربيّة في الدّفاع عن فلسطين في عام النّكبة بقي الأمل يتجدّد عند الشّعراء بأنّ فلسطين ترجع مرّة أخرى، فالحل الوحيد هو اعلان الحرب، فأخذ الشعراء يعبّرون عن أسفهم لتخاذل البعض تجاه القضية، كما حمّلوا الساسة المسؤولية الكاملة وراء ضياع هذا الضياع، والشعب العربي لا حول له أمام حكوماته الجائرة، الخائنة، التي باعت فلسطين بتصديقها لمؤامرات اليهود الخادعة وهم المعروفين منذ زمن بالخداع وعدم الوفاء، يلخص كل ذلك الشاعر "أحمد مطر" في هذه المقطوعة:

يا قدس معذرة ومثلي ليس يعتذر

مالي يد فيما جرى فالأمر ما أمروا

وأنا ضعيف ليس لي أثر

عار على السمع والبصر

فالحرب أغنية يحن بيها الوتر

والسلم مختصر

ساق على ساق

وأقداح يعرش فوقها الحذر

ويكون مؤتمر

هزي إليك بجذع مؤتمر. [1]

وتبقى خيام اللاجئين السوداء رمزا سوداويّا في تاريخ النكبة الفلسطينية، وما عاناه اللاجئون من تشتّت وتفرّق وحزن وأسى إثرها، فعبّر الشاعر "كمال ناصر" عن هذه الحال المريرة التي عاشها اللاجئون في خيامهم السود، حين نقل لنا تلك الصور البائسة والمحزنة لمشاهد تصوّر معاناة الشعب الفلسطيني في حياة التشرّد والعذاب، يقول في قصيدة " خيمة":

يا خيمة أعرفها في الأسى *** فات عليها في الرجوع الأوان

النار في أرجائها أخمدت *** وفي زواياها تلاشى الدخان

والهم من اليأس بها مطرق *** يحصي عليها في العذاب الثوان

يجتر من تاريخها راويا *** ما كان من مجد لديها وكان

[1]_ أحمد مطر، المجموعة الشعرية الكاملة، دار الحريّة، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص 27.

يا خيمتي السوداء مالي هنا *** ذكرى على أشلاء حكم جبان. [1]

ففي ظل هذه المأساة التي أثارت مشاعر الشعراء وأيقظت وجدانهم، كان لصور اللاجئين المشرّدين في الدروب الأثر البارز والمدى العميق في نفس الشاعر" أبو سلمى" فصوّر بلوعة وحسرة وصدق مرير اللاجئين وبؤسهم وتشرّدهم، محملا في ذلك العرب وزعمائهم مسؤولية المأساة، يقول في قصيدته الموسومة ب " النازحون" مشخّصا فيها الأسباب والنتائج:

يا فلسطين أين تربتك العذراء *** تفتضّها يد المجتاح

مرّ قلبي على التراب خضيبا *** بشظايا الأعراض والأرواح

أيها النازحون كيف تهاويتم *** نجوما على غريب البطاح

[1]_ كمال ناصر، جراح تغنّي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1960، ص 119، 120.

أين أنت؟ إن القلوب تنادي *** فيحول النداء رجح نواح؟

ليتكم في ملاعب الحرب كنتم *** في فلسطين وحدكم في الساح

لو حملتم عبء القضيّة أنتم *** وكفرتم بعصبة الأشباح

لجلزتم عرائس المجد فوق الأفق *** بين السني وختفق الوشاح

أو دفنتم هناك طيّ تراب *** طهّرته الدماء قبل البراح

أيها النازحون ماذا لقيتم *** غير دنيا الآلام والأتراح

وحملتم ذلّ السؤال ثقيلا *** بعد تاريخ ثورة وكفاح. [1]

1)_عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، ديوان المشرّد، دمشق، سوريا، 1953، ص 37.

كما يقول في قصيدة أخرى واصفا فيها مرارة التّشتت الذي أصاب الأسرة الفلسطينية التي قذفت بها الأحداث العاتية بعيدا عن وطنها الحبيب، تروي وجوههم الشاحبة المعالة واليائسة أحداث المأساة، تاركين وراءهم ديارهم وأرضا كانوا يفلحونها، فيها زيتوناتهم وكرومهم، متحسّرا على تلك الأيّام الجميلة التي مضت:

هل تسألين النجم عن داري *** وأين أحبابي وسماري

داري التي أغفت على ربوة *** حالمة بالمجد والغار

تفتّح الوهر على خدّها *** فعطّرت أيام أذار

والشمس لا تضحك إلا لها *** تهدي إليها وشّي أستار

والكرم ما أرحم أفياءه *** أحلام عشاق وأطيار

من عرق الفلاح أنداؤه *** أكرم من طل وأمطار

والبيدر السمح على صدره *** حبّات أكباد وأبصار

أغنية الراعي وراء الربى *** منشورة في الأفق العار. [1]

وفي نفس الصدد يقول "عبد الوهاب البيّاتي" متحدثا على لسان اللاجئ الفلسطيني:

أنا لن أموت

مادام في مصباح ليل اللاجئين

زيت ونار، عبر مقبرة الحدود

حيث الخيام الباليات

كأنها في الريح لافتة تشير

إلى طريق العودة الدامي القريب. [2]

ولعلّ هذا الشعور الغائر بالظلم جعل من الشاعر "صلاح عبد الصبور" يصف تلك الحال المريرة التي آل إليها الفلسطيني بعدما شرّدته المأساة وألقت به في غياهب القهر والحزن

1)_عبد الكريم الكرمي، ديوان المشرد، ص 21.

[2])_ صلاح عبد الصبور، الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، 1973، ج1، ص 138.

فصوّر وقعها في النفوس وانفجرت ثورة غضبه نتيجة الواقع المرير، متوعّدا بيوم الثأر،

يقول:

كانت له أرض وزيتونة

وكرمة وساحة ودار

وعندما أوفت به سفائن العمر إلى شواطئ السكينة

وخطّ قبره على دار التلال

انطلقت كتائب التتّار

تذوده عن أرضه الحزينة

لكنّه خلف سياج الشوك والصبّار

ظلّ واقفا بلا ملال

يرفض أن يموت قبل الثّأر

يا حلم يوم الثأر. [1]

[1])_عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، 1995، ج 1، ص 194.

وفي انتظار يوم الثأر "**انتعشت الروح الثورية واستيقظ الأمل لدى الفلسطينيين بالعودة حينما بدأت الثورات تجتاح الأقطار العربية منذ عام (1952)، ممّا أنعش الأمل في نفوس الشعب العربي عامة والفلسطينيين خاصة بإعادة الجزء السليب من فلسطين، وعبّر الشعراء عن هذا الأمل وعن الثورة المضطرمة في النفوس للعودة إلى الأهل والديار.**"[1]

يقول الشاعر "كمال ناصر" مبشرا بيوم الثأر:

أما ترانا في الدّجى نفتلي *** وموعد الثأر ينـادينا

نسعى إلى الفجر وما نأتلي *** نمزق الليل بأيـدينا

إن كنت لا تعرف من أمّتي *** فاسئل عن العرب الميادينا

سنلتقي يوما على موعد *** للثأر في يافا وفي الكرمل

سيجمع التاريخ أشتاتنا *** واحدة الراية والجـحفل

ويعلم الشذاذ من أمتي *** وأيّ دار حرّة موئلي؟ [2]

1)_مجموعة مؤلفين، دور الأدب في الوعي القومي العربي، ص 324.

2)_كمال ناصر، جراح تغني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1960، ص 91.

وفي قصيدة "منشورات فدائية على جدران إسرائيل" يبيّن "نزار" صورة المقاوم الفلسطيني

الفدائي الذي أصبح جبّارا قويّا صامدا، يحسب له الصّهيوني ألف حساب، يقول:

أنا فلسطيني

بعد رحلة الضّياع والسّراب أطلع كالعشب من الخراب

أضيء كالبرق على وجوهكم

أهطل كالسحاب

أطلع كل ليلة

من فتحة الدّار...

ومن مقابض الأبواب

ومن ورق التوت

ومن شجيرة اللّبلاب

ومن بركة الماء...

ومن ثرثرة المزراب

أطلع من صوت أبي

من وجه أمّي الطّيب الجذاب

أطلع من كل العيّون السّود...

والأهداب من شبابيك الحبيبات... [1]

ففي هذه الأبيات التزم "نزار" بالقضيّة الفلسطينيّة مؤكّدا انتمائه ودور الشعر العربي في معركة الدّفاع عن القضيّة، دون أن يستغني عن أيّة مدينة أو مكان شهد للحدث وللقمع الصّهيوني، وإذا نظرنا إلى شعره السياسي سنراه يفيض بروح الشعر المقاوم وسماته، يشحذ همم المناضلين ويدعم صمودهم، هذا ما نجده في قصيدة: "منشورات فدائية على جدران إسرائيل"، يقول في بعضها:

موعدنا حين يجيء المغيب

موعدنا القادم في تل أبيب

" نصر من الله، وفتح قريب". [2]

---

[1]– نزار قباني، الأعمال السّياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، ط 4، بيروت، لبنان ،1986،ص 179.

[2]– المصدر نفسه، ص 183.

ولا يخفى على أنظارنا أيضا اعتماده على الآثار الدّينية للقضيّة، وهذا ما بارز في قصيدة "القدس" في قوله:

بكيْتُ... حتَّى انتَهَتْ الدُّموع

صلَيْتُ... حتَّى انتَهَتْ الشُّموع

ركَعْت... حتَّى صبي الرُّكوع

سألت عن محَمَّد فيك وعن يسوع

يا قُدْس، يا مدينَة تَفُوحْ أنبِيّاء

يا قصر الدروب بين الأرضَ وانتماء

من يوقِف العدوان

عليكَ يا لؤلؤة الأديَان؟[1]

ومن هنا استطاع أن يبرز لنا بوضوح روح المسؤوليّة والتّوتّر والقلق على القضيّة، وبالأخصّ بيت المقدس، وآثاره الدّينيّة الإسلاميّة والمسيحيّة في قوله "لؤلؤة الأديان" كافة.

[1]–نزار قباني، الأعمال السياسية، ص 42، 43

إضافة إلى الأماكن التّي شهدت الواقع المرّ، حضور الأحداث والشّخصيّات الدّينيّة التّاريخية التي خطّت صورا مضيئة في تاريخ النضال العربي والاسلامي، حيث استمدّها الشّاعر للدّفاع عن القضيّة العادلة، فهذه الأخيرة ستنتصر مهما طال الكفاح، ومهما استنزفت الأرواح، فاستلهم الشاعر هذا المعنى لبعث الأمل في النّفوس من جديد، ويقول أنّه مهما طال ليل الاستعمار لا بدّ أن تسطع شمس الحرّية، لأنّ حياة بلا أمل عذاب ما بعده عذاب، يقول:

من وجع الحسين نأتي من أسى فاطمة الزّهراء

من أحد نأتي ومن بدر وأحزان كربلاء

نأتي لكي نُصحِح التاريخ والأشياءْ

نطمس الحروف في الشّوارع العبريَّةَ الأسماء. [1]

[1]– المصدر نفسه، ص63.

إن استحضار الشّاعر للأحداث والشّخصيّات الدّينيّة واستساغتها يمثل عنصرا فاعلا للتعبير عن غدر العدو وقمعه، مفاده أنّ الشاعر يريد اسقاط الماضي على الحاضر ليقول أن التاريخ يعيد نفسه، يظهر ذلك في إشارته إلى شخصيّة "فاطمة الزّهراء" والحسين" عليهما السّلام، وأيضا إلى معارك الرسول عليه الصلاة والسلام "أحد" و"بدر"، وإلى معركة كربلاء التي غدر فيها بنو أمّية بأصحاب الحقّ الشّرعيّين، آل بيت النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم.

تجليات النكسة في الشعر العربي:

كان لنكسة حزيران التي مني بها العرب وقعها حادّا على الانسان العربي، وقعا كان أشد من النكبة، إذ أنها كانت نكبة أخرى من نكبات العرب، راحت على اثرها مزيدا من الأراضي العربية، فأرسى اليهود دعائمهم في المنطقة العربية واستفاق الانسان العربي على هذا الواقع المشؤوم الذي ألقى به في غياهب الحزن والقهر والضياع والتشتّت، وأبان على خضوع العربي واستكانته التّامة، وبلوغه مبلغا من الانهزامية والاستسلام، إضافة إلى كونها لم تكن عسكرية فحسب بل كانت حضارية كذلك ، فهي" **هزيمة مروّعة زلزلت العقل، وصدّعت البنيان وكسرت الوجدان العربي، وقد مثّلت فاصلا حقيقيّا بين زمنين خصوصا**

لجهة ما خلّفته من آثار غير ماديّة، أي فكرية ثقافية كان لها تأثيرها في توجيه العقل العربي وصياغته، فضلا عن الصدى المدوّي والانعكاس شبه الآلي لتلك الهزيمة في النتاج الفكري والثقافي العربي، وفي دفعها إلى اتجاهات فكرية، أيديولوجية، سياسية، ما كان لها أن تكون لولا هزيمة 1967م."[1]

وكما بسطت النكسة ضلالها على مختلف الأجناس الأدبية، مدّتها أيضا على الشعر، فجاء مبرّرا لحدوثها ومتفجّعا من نتائجها، وراح الشعراء على اثرها يخطّون السطور معبّرين على الحال المريرة التي سادت النفوس العربية "**وقد استفاق قسم هام من الشّعراء على واقع آخر غير الذي كانوا يأملونه، وتأزّمت علاقاتهم بصنّاع القرار ومنظّري الوحدة القوميّة العربيّة، فلم يجدوا غير الشّعر ملاذا وأنيسا يفجّرون فيه طاقّاتهم ويعبّرون من خلاله عن رفضهم للواقع السيّئ، وأحيانا يظهرون تمرّدهم على أنماط التّفكير القائمة بوصفها منتجة لذلك الواقع، داعين إلى التّغيّير الجذري في الأسس التي أوصلت أمّة**

[1]_ شوقي مصطفى: " عبد الله سرور يتقصّى أثر نكسة 67، في الشعر العربي"، جريدة قراءات العرب، القاهرة، 18_06_2007، ص 10

عريقة إلى الانقسّام والتّشرذم الموصلين إلى الهزيمة."[1] وقد لاحظنا أسماء كثيرة في عالم الشّعر حركتها الهزيمة والواقع العربي المرير الذي آلت إليه الأمّة على غرار "نزار قباني" و "صلاح عبد الصّبور" و "أمل دنقل" وكثيرين غيرهم توزّعوا على رقعة الوطن العربي، يقول الشّاعر "عبد الغني حسن" يردّ على من لم ير في النّكسة سوى نكبة للأمّة:

لا تلمها في الحادثات الملمّة،

إنّها: أمّة، وأيّة أمّة؟ !

كيف لا يحمل الحوادث شعب عربي السّمات.

عالي الهمّة

يتلقّى من الهزيمة درسا يتحدّى اللّيالي المدلهمة

فيحيل الدّجى وضاءة صبح ويردّ الشّكوى حلاوة نغمة. [2]

[1] _ رمضان حينوني، رثاء النكسة في الشعر العربي الحديث، www.hinouniblogspot.com.(2019/04/12)
[2] _ المرجع نفسه.

إنّ الأوصاف الجميلة التّي أطلقها الشّاعر كان يراد لها أن ترفع المعنويّات، وأن تعدّ الإنسان المقهور المحطم في نفسه وآماله بمستقبل أفضل يعيد له شيئا من الكرامة المهدورة، وربّما يكون التّفاؤل مطلوبا بعد النّكسات حتّى لا يكون السّقوط موتا ليس بعده نهوض غير أنّ الواقع يعطي للمتشائمين نصيبا من الحقّ أيضا في غرقهم في التّفجّع على أمّة يعتقدون أنّها أصيبت في مقتل، حتّى أنّهم يعتبرون النّكسة لفظا لطيفا جدّا للكارثة التّي وضعت العالم العربي في موقف لا يحسد عليه. [1]

كما أدّت هذه التجربة المرّة إلى نضج الوعي ووضوح الرؤية، فتناول الشاعر "محمّد الماغوط" النكسة بتعبير أشدّ حدّة من الشعراء السّابقين، فديوان "الفرح ليس مهنتي" يعكس آلام الحال المريرة التي آل إليها الوطن العربي، ويحمل شحنة من السّخط والغضب على الواقع المتفسخ الحقير، يقول في قصيدة "بعد تفكير طويل":

قولوا لوطني الصّغير الجارح كالنّمر

[1])_رمضان حينوني، رثاء النكسة في الشعر العربي الحديث.

[2])_ المرجع نفسه.

إنّني أرفع سبابتي كتلميذ

طالبا الموت أو الرّحيل

ولكن

لي بذمّته بضع أناشيد عتيقة

من أيّام الطّفولة وأريدها الآن. [1]

إنّ " الماغوط" بتعبيراته هذه الحزينة والقاسّية في حق وطنه من تصغير للوطن، وطلب الموت وتعتيق الأناشيد تعبّر عمّا يعتري "الماغوط "من ألم وغضب وحسرة ولوعة على وطنه، ويطالب بالأناشيد البريئة التّي صدح بها تمجيدا له في أيّام طفولته.

وممّن عكسوا أحداث النكسة الشاعر "عبد الوهّاب البيّاتي" في قصيدته " بكائية إلى شمس حزيران" التي تعبّر عن وعي الشاعر الجمعي بنقائض الواقع العربي آن ذاك، حيث يقول:

طحنتنا في مقاهي الشرق حرب الكلمات

والسيوف الخشبية

والأكاذيب وفرسان الأهواء

***

شغلتنا التراهات

فقتلنا بعضنا بعضا وها نحن فتات. [1]

ومن الشّعراء الذين حرّكت الهزيمة مشاعرهم وهزّت وجدانهم هزّا عنيفا فجعلوا الكلمة سلاحا للدّفاع عن أرض الأمّة، الشاعر "نزّار قبّاني"، الذي اهتمّ بالقضيّة وعبّر عن النّكسة التي عاشها شعبه وصوّر لنا مواقف العرب من ذلك، وهذا ما نجده في قصيدة "هوامش على دفتر النّكسة"، التي تعتبر بداية التّحول للشاعر في اهتمامه بالقضايا القومية بعدما كان شعره لا يخرج إلاّ أحيانا قليلة عن إطار المرأة وفي ذلك يقول: "..**لذا فإنّ تحوّلي بعد**

[1])_ عبد الوهّاب البياتي، عيون الكلاب الميّتة، دار العودة، بيروت، لبنان، 1969، ص 23.

الخامس من حزيران ليس معجزة ولا نصف معجزة..إنّه رد فعل انساني، عمل تدافع به الحياة عن نفسها"[1] يقول:

أنعِي لكُمْ يا أصدقائي اللّغة القديمة

والكتب القديمة

أنعي لكم

كلامنا المثقوب كالأحذيّة القديمة

ومفردات العهر والهجاء والشتيمة

أنعي لكم ...

أنعي لكم

نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمة

مالحة في فمنا القصائد

[1])_ نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ص71.

مالحة ضفائر النساء

والليل والأستار والمقاعد

مالحة أمامنا الأشياء

يا وطني الحزين

حوّلتني بلحظة

من شاعر يكتب شعر الحب والحنين

لشاعر يكتب بالسكين. [1]

فعكس نزار ذلك الواقع المتفسّخ المرير في كتاباته "**واتّخذ من شعره قرينة على اعلان التّحول وإقرارا من نزار بأن عصر النساء قد ولّى، وشعر الحب لم يعد مذاقا مستساغا** "[2]

وآن الأوان لشعر الحرب الذي دقّ طبوله، أوّلا على الفكر العربي السائد خلال تلك الفترة، محمّلا إياه نتائج الهزيمة، وثانيا على صنّاع القرار ومنظّري الوحدة العربية، إذ لم تترك له النّكسة ما يتحفّظ عليه من خطاب أو يكتمه، ودعا إلى قطيعة نهائيّة مع هذا الفكر المهزوم.

[1]– نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة ، ص، 73.

[2])_عبد المحسن طه بدر، حول الأديب والواقع، ، ط2، دار المعارف، مصر 1981، ص 116.

كما اعتمد على الإيغال في السخريّة من قدرة الإنسان العربي على الكلام، فما بال تجسيده، لأنّ "**تكسة حزيران أماطت غشاوة ثقيلة عن عيون العرب، ومنهم نزار، واكتشفوا زيف الشعارات التي سبقت حزيران، والتي أوهمت الجميع بأنّ تحرير فلسطين وإعادة الأهل إلى ديارهم مسألة بسيطة، لذلك رأينا نزار المصدوم بزيف شعارات العرب يبرر الهزيمة**"[1]

فانفجرت ذات الشاعر فاضحة الشعارات الزائفة ومنتقدة للعرب، فهاجمهم هجوما شرسا متحدّثا عن العلّة التي أدّت إلى خسارة الحرب، يقول:

إذا خسرنا الحرب لا غرابة

لأنّنا ندخلها

بكل ما يملك الشّرقي من مواهِب الخطابة

بالعنتريّات التي ما قتلت ذبابة

لأنّنا ندخلها

[1])_نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ص 75

بمنطق الطلبة والرّبابة. [1]

وجد نزار في الكلمة الأداة التي يستطيع من خلالها تفجير براكين غضبه، حين عبّر من خلالها عن سخطه على الواقع الذي أدّى إلى الهزيمة، باحثا عن هويّة قومية تنتشله ممّا هو فيه من ضياع.

وبعد هذا كله يعترف بأنه يهاجم عرب اليوم فقط، العرب المهزومين، فكان نقده لاذعا وهجومه شرسا عليهم والذي ازداد حدّة بعد النكسة، يقول:

لا تنتظر من عرب اليوم سوى الكلام ..

لا تنتظر منهم سوى رسائل الغرام. [2]

فنزار لم ينس أنّها قضيّة قوميّة تهمّ الأمّة العربيّة ولم يتهاون في نصرتها، كما أنّه كان أكثر جرأة في مواجهة سلبيات الواقع المشؤوم الذي آل إليه الإنسان العربي، حين وقف في وجه الفكر العربي الذي أدّى إلى الهزيمة، فخرج عن مألوف شعره الذي كرّسه للمرأة، ليتغنّى

[1])_ نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ص 76.

[2])_ نزار قباني، ديوان قصائد مغضوب عليها، منشورات نزار قباني، ط2، بيروت، 1987، ص 62.

بانتفاضة الشعب الفلسطيني وبصمود أطفال الحجارة، وببطولات أهل غزّة وبسالتهم، وعندما كتب عن القضية، كان ذلك من باب الشعور القومي والانساني وكتب على يقين تام بأن الفجر قادم وتحقيق النّصر آت لا محالة، لأن دوام الحال من المحال ولأنّ أصحاب الحقّ في النّهاية حتى وإن طال صبرهم لابد من يوم تطلع فيه شمس الحرية.

هذه نماذج مختارة من الشعر العربي، تعبّر عن الجرح الغائر للقضية الفلسطينية في وجدان الشاعر العربي الذي تبنّى فصول ملامحها منذ بروز أولى خيوطها في العشرينات من القرن الماضي، وهو لايزال يناصر القضية من باب المسؤولية القومية، حيث تعتبر من القضايا التي حرص الشعر العربي على الاهتمام بها وتصويرها بعناية، ولا نغالي إن قلنا أنه يندر أن نجد شاعرا عربيا لم يسهم في البكاء والعويل على الحال التي آلت إليها فلسطين، وإلى جانب ذلك كان يشحذ الهمم للنّضال ضد المستعمر، كما كان يبثّ روح الصّمود في نفوس المقاومين أملا في النصر، مصوّرا قوافل الشهداء الذين سقطوا في ساحات الفداء، وفي نفس الوقت كان يوجّه سخطه ويصبّ جمّ غضبه على أصحاب القرار الذين وصموا بالعمالة والخيانة حين هووا بفلسطين للهاوية، محمّلا إيّاهم مسؤولية ضياع

فلسطين، فمجموعة الشعر التي عرضناها بإيجاز تقدّم بوضوح فكرة عن الرسالة القومية التي أدّاها الشعر على الخصوص في نشر الوعي القومي في الأقطار العربية.

المبحث الثالث: تجليّات القضيّة الفلسطينية في شعر أبناء المقاومة

يشكل شعر المقاومة حلقة مهمّة في تاريخ الشعر العربي الحديث والمعاصر، هذا الشعر الذي نشأ داخل الأرض المحتلّة وخارجها، شعرا تحريضيّا، يسعى إلى التغيير ولا يرضى بالواقع المرير، وفي الوقت نفسه يبشّر بالوصول والنصر، ف "**لم تعرف الآداب العربيّة أدب قط حمل معاني الحنين والتّشرّد والتّمزّق والتّشبث بالأرض والثّبات والمقاومة والتّفاؤل الثّوري، مثل أدب أبناء فلسطين من حيث النّضج الفنّي والرّؤية المستقبليّة والخصب، فلقد بلورت القضيّة الفلسطينيّة الأفكار الثّوريّة لدى شعراء المقاومة، فأدركوا واقع القضيّة ومصيرها، لذا فقد تبنّوا فصول ملامحها، وصوّروا تأثيرهما في الإنسان، فالفلسطيني مؤمن بعدالة قضيّته، فقد جسّد القضية الفلسطينيّة وصوّر تأثيرها فيه من النّواحي النّفسية والاجتماعيّة والاقتصاديّة، ومن خلال هذا التّأثير أبرز فظاعة الاحتلال من خلال تصوير استبداده وظلمه وهيمنته، لذا ارتبط أدب شعراء المقاومة بالواقع النّضالي، وهو واقع اتّسم بالتضحيّات الجسيمة والعطاءات العظيمة غير المحدودة، وظلّوا مخلصين للقضيّة، قضيّة الوطن والشّعب، وكانت سلطات الاحتلال تضع العراقيل أمام هذا الأدب**

لمنعهم من مواصلة مسيرتهم الأدبيّة، وكانوا يكتبون نتاجهم في صحيفة "الاتّحاد" ومجلّة الجديد [1]"، ومن خلال هذا الانتساب كانوا يعبّرون عن القضيّة الفلسطينيّة بصدق ووعي، وأبرزوا قضيّتهم قضيّة إنسانيّة عالميّة، كما نقلوا للرأي العالمي والعربي الواقع المرّ الذي يتعرض له الفلسطيني من انتهاك لواقعه وتاريخه واقتلاعه من جذوره وماضيه وحاضره، فالشاعر الفلسطيني المقاوم لم يشذ عن هذه القاعدة، باعتبار أن علاقته بالقضية كعلاقة الروح بالجسد، فكان المصدر الذي استلهم منه الشعب الفلسطيني المدد المعنوي الذي تسلّح به في جهاده المرير.

النكبة في شعر أبناء المقاومة:

كان للنكبة وقعا حادّا وقاسيا في نفسية وضمير الشاعر الفلسطيني المقاوم، الذي استفاق على اثر الفاجعة التي حلّت بأرضه وأهله، حيث تعتبر النكبة أهم موضوع ألهم الشعراء وفتق مواهبهم فأخذوا يخطّون السطور في التعبير عن هول الفاجعة التي ألمّت ببني

(1)- رقيّة زيدان، أثر الفكر اليساري في الشّعر الفلسطيني، ص50.

جلدتهم بتعابير حزينة وصادقة، وإليهم يرجع الفضل في توعية الشعب، وتمسّكه بشخصيّته وحفظ كيانه، وأصبح لشعراء القضية جزءا رئيسيا من جهة القتال، وأصبحت القضية الفلسطينية موضوع أعمالهم، "**فصوّر الشّعراء في نهاية الخمسينات وبداية السّتينات الوطن والنكبة والضّياع والتّرحيل والهجرة واللّجوء، ومن ثمّ الحنين والعودة، وهذا واضح جدّا في بداياتهم الشّعريّة، فمثلا "سميح القاسم" يكثف صورة النّكبة وضياع الفردوس وعودة اللاّجئين في مجموعته الشّعريّة "أغاني الدّروب" عام "1964م**""[1] يقول في قصيدة "صوت الجنّة الضّائعة:

واستفقنا ذات فجر

وانتظرنا الطّائر المحبوب واللّحن الرّخيما

وترقّبنا طويلا دون جدوى

طائر الفردوس قد مدّ إلى الغيب جناحا

[1]_ سميح القاسم، الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، 1970، ص 61.

والنّشيد السّاحر المسحور راحا.

صار لوعة

صار ذكرى... صار نجوى.

وصداه حسرة وحرّى .. ودمعة.

والشعر المقاتل هو إلى جانب كل ثورة في أي جزء من أجزاء الوطن العربي، يدعو إلى التشبّث بالأرض والبقاء بها وعدم مغادرتها على الرغم من تعنّت الصهاينة الأعداء، كما يدعو إلى النضال ويحرّض على التغيير، ويبشّر بالوصول والنصر، ومهما طال ليل المحنة، فلا بدّ له أن ينجلي، هذا الرفض الواعي الرشيق الذي ينبعث من شعراء المقاومة، كان له صدى صارخ بنبرة غاضبة في شعر "سميح القاسم"، حيث يقول في قصيدة "بابل":

غضبتي.. غضبة جرح أنشبت *** فيه ذؤبان الخنا ظفرا ونابا

وانتفاضاتي عذاب .. ودّ لو *** ردّ عن صاحبه الشرق عذابا

وأنا أومن بالحق الذي *** مجده يؤخذ قسرا واغتصابا

وأنا أومن أني باعث *** في غدي الشمس التي صارت ترابا

فاصبري يا لطخة العار التي *** خطّها الأمس على وجهي كتابا

وانظري النار التي في أضلعي *** تهزم الليل وتجتاح الضباب.[1]

ويجسّد "سميح القاسم" صورة الضّياع وملامحها في عدّة قصّائد، نحو قصيدة "أطفال 1948"، فيصف بحسرة الجراح التي خلفتها الحرب في بلدته التي لم تترك فيها سوى أدخنة الحروب المهلكة وبقايا مدافعهم المتفجرّة في أوجه الأبرياء، يقول:

كوم من السمك المقدّد في الأزقّة في الزوايا

تلهو بما ترك التتار الانجليز من البقايا

[1]_ سميح القاسم، الديوان، ص 69، 70

أنبوبة. وحطام طائرة ... وناقلة هشيمة

ومدافع محروقة وثياب جنديّ قديمة

وقنابل مشلولة .. وقنابل صارت شظايا. [1]

يكثّف الشاعر من ملامح النكبة وما خلّفته المأساة في النفوس في ديوانه، نحو قصيدة "جيل المأساة" وقصيدة "رسالة إلى اللّه" و"أنتيجوانا" و"بابل" و"الذّئاب الحمر"...

كما يعتبر" محمود درويش" من الشعراء الذين التحموا بالنضال والمقاومة وشاركوا الشعب في كفاحه الوطني، كما أنه يعتبر من شعراء الأرض المحتلة الذين ناضلوا ضد الظلم والاضطهاد، حيث أنه لم يشذ عن هذه القاعدة، وهو شاعر ومواطن فلسطيني، يؤثّر ويتأثّر، باعتبار القضية الفلسطينية حدث تاريخي عظيم، صوّر من خلالها ألام شعبه وعبّر عن أمانيه، وأرهص لثوراته، فتعامل مع الحياة والفن بإخلاص ملتزم إلى حدود التّضحية، نجده في أشعاره " **يصف بحسرة ولوعة جرح القرى المدمّرة ولم يبقى منها سوى أطلالها،**

[1]_ المصدر نفسه، ص 46.

ولم يبقى سوى السنديانة والصّنوبرة فيتحسّر على الأطفال الذّين شرّدوا وفقدوا طفولتهم، ويصف "درويش" البيت المهجور والتينة المهجورة، ويصف مرارة الغربة وخيم اللاّجئين، ويكثّف هذه الصّورة الشّعريّة بما فيها من ملامح النّكبة والضّياع في مجموعته الشّعريّة "أوراق الزّيتون" عام (1964م)، يقول في قصيدة "الحزن والغضب"[1]:

القرية والأطلال

و"النّاطور"، و"الأرض واليباب".

وجذوع زيتوناتكم...

أعشاب بوم أو غراب

من هيّأ المحراث هذا العام؟

من ربى التّراب

يا أنت! أين أخوك... أين أبوك؟

[1])_ رقيّة زيدان، أثر الفكر اليساري في الشّعر الفلسطيني، ص 102، 103.

إنهما سراب!

من أين جئت؟ أمن جدار؟

أم هبطت من السّحاب؟

وعبّر "درويش" عن حالة الضّياع وعمّقها، من خلال رسمه ملامح التّشريد والغربة واللّجوء في قصائد كثيرة، وبكى على ضياع أرضه بكاء مرّا، في لوعة وحسرة على ما آل إليه وطنه، ما ينم على الارتباط الشديد للشاعر بوطنه، فهو عانى الكثير من الويلات والآلام التي جعلته يبغض المستعمر، يقول في قصيدة " الوطن":

بلادي البعيدة عني ...كعلبي!

بلدي القريبة مني... كسجني

لماذا أغني؟

مكانا، ووجهي مكان

لماذا أغني

لطفل ينام على الزعفران

ومن طرف النوم حنجر

وأمي تناولني

صدرها

وتموت أمامي

بنسمة عنبر.[1]

فهذه " **أغنية الغربة والتّشرد والضياع، وأغنية العذاب والسجن والاضطهاد، وأغنية المرض والموت والقتل والابادة، وفقدان الأمومة، وفقدان الأرض، شريط من الذكريات يمرّ في خاطر الشاعر لكنّها ذكريات مختارة تعرض صورا من تاريخ أرض فلسطين.**"[2]

[1])_ محمود درويش، الديوان(الأعمال الأولى)، رياض الريّس للكتب، بيروت، لبنان، 2005،ص 288، 289.

[2])_أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ص 646.

كما أن "درويش" في وسط هذه اللّوعة والحسرة يحاول النهوض من جديد من خلال قصيدته " بطاقة هويّة " من ديوان " أوراق الزيتون "، والتي تعتبر أروع ما كتب في هذا المجال، من خلال توحيد انتمائه إلى العربية، فرفعها وميّزها على أي انتماء آخر، وطالب باستعادة أرضه المنتهكة، محذّرا المعتدي من التمادي في اغتصاب الأرض، فهو ليس معتديا، وإنما هو صاحب حق يطالب به، يقول في هذا الصدد:

سجّل

أنا عربي

سلبت كروم أجدادي

وأرضا كنت أفلحها

أنا وجميع أولادي

ولم تترك لنا ولكل أحفادي

سوى هذي الصخور

فهل ستأخذها

حكومتكم كما قيلا؟؟

إذن

سجل برأس الصفحة الأولى

أنا لا أكره الناس

ولا أسطو على أحد

ولكني إذا ما جعت آكل لحم مغتصبي

حذار حذار من جوعي

ومن غضبي. [1]

[1])_ محمود درويش، ديوان محمود درويش، دار العودة، بيروت، ج 1، ط 5، 1977، ص 121

يواصل "درويش" في قصيدته تحريك الوعي الوطني والقومي الراسخ في وجدان الشاعر وفي تركيزه على هذه الهويّة العربية، محاولا في ذلك ترسيخ فكرة الانتماء والاعتزاز بالوطن والامتداد القديم في أرضه، وفي نفس الوقت يزرع بذور الثورة في شعبه بكلمات صلبة كانت تندفع كالقنابل من فم الشاعر، محاولا الوصول إلى نتيجة مفادها أن البلاد التي يريد الإسرائيلي الغاشم إرساء قواعدها لا أساس لها على أرض فلسطين، ولا مجال لها من الصحة، فيقول:

سجّل!

أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألف

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم سيأتي بعد صيف

فهل تغضب؟ [1]

ف "درويش" انفجرت ثورة غضبه نتيجة الواقع المرير، معبّرا في قصائده عن التزامه بقضيته وشعبه ووطنه بعدما عانى الشعب الفلسطيني النّكبة وراء الأخرى إلى أن بلغت هذه الأخيرة أقصاها سنه 1948، حين ألقته في غياهب التشرّد والضياع، فبدأ الوعي الثوري لدى الشاعر يصحو على واقع شعبه المنهار، محاولا في ذلك الالتحام به بصمود قويّ، متمسّكا بكيان أرضه للنهّوض من جديد وصنع الثورة، يقول:

شعبي أتيتك تائبا، أقسمت بالوعد الكبير

أني عرفت الحرب يا شعبي المدرّع بالرعود

لقد كرّس هذا الشّاعر جلّ شعره للقضيّة، وقد سعى بكلّ صدق ووعي إلى تصوير ملامح قضيّته، وفظاعة الاحتلال واستبداده وظلمه وهيمنته، والآثار البالغة التي خلّفها في النفوس وعلى الأرض، قائلا في قصيدته "الحزن والغضب":

[1])_ محمود درويش، ديوان أوراق الزيتون، ط5، عكا لدار النشر، بيروت، ص 121.

إنا حملنا الحزن أعواما وما طلع الصّباح

والحزن نار تخمد الأيّام شهوتها

وتوقظها الرّياح

والرّيح عندك، كيف تلجمها؟

وما لك من سلاح

الإلقاء الرّيح والنّيران.

في وطن مباح؟ !![1]

لقد سعى "درويش" من خلال هذه القصيدة إلى تصوير الحزن الذي يسكن قلوب الفلسطينيّين والمأساة التّي تمزّق الوطن، مصوّرا الإنسان الفلسطيني الذي حاول الاستعمار اقتلاع جذوره من أرضه، كما يصوّر أيضا صموده الذّي يبني كيانه ووجوده متحدّيا كلّ وسائل التّعتيم والتّشويه التّي استهدفت أرضه ووطنه.

[1]– محمود درويش، عابرون في كلام عابر، دار العودة، بيروت، ط2، (1994م)، ص(59).

ونتيجة الظّروف المأسويّة التّي لاقاها الشّعب الفلسطيني سعى الشّاعر إلى التّعبير عن قضايا شعبه كمتنفس له، فصوّر تحطيم القرى العربيّة وطرد أهلها وتشريد أبنائها من أرضهم، وترك بيوتهم وما فيها من أثاث ومتاجرهم وما فيها من سلع وحقولهم وبساتينهم وما فيها من كروم وزيتون، يعبّر "درويش" عن هذه الصّورة قائلا:

مازال في كرومكم عناقد من العنب

ردّوا بنات آوى

يا حارس الكروم

لينضج العنب...

ما زال في بيوتكم حصيرة... وباب

سدوا طّريق الرّيح عن صغاركم

ليرقد الأطفال

الرّيح برد قارس... فلتغلقوا الأبواب. [1]

كما كانت قضيّة اللاّجئ الفلسطيني في الشّتات، وما يلاقيه من واقع مرير، بعد أن شرّد من دياره عنوة حاضرة في أشعار "درويش"، يقول في قصيدة بعنوان "رسالة من المنفى":

هل يذكر المساء

مهاجرا أتى هنا... ولم يعد إلى الوطن؟

هل يذكر المساء

مهاجرا بلا كفن؟

ياغابة الصّفصاف ! هل تذكرين

أن الذي رموه تحت ظلّك الحزين

كأيّ شيء ميّت– إنسان.[2]

[1]– محمود درويش، عابرون في كلام عابر، ص(14).

[2] –محمود درويش، عابرون في كلام عابر، ص38، 39.

فمأساة اللاّجئ الفلسطيني تتمثّل في رفض الحكومة الإسرائيليّة حقّ العودة للفلسطيني في الشّتات لما سيشكّله ذلك من خطر ديموغرافي على إسرائيل، وقد وضّح "شلومو جازيت" ذلك قائلا: «**ينبع من عدم إمكانيّة إعادة اللاّجئين إلى منازلهم وأراضيهم، لما لذلك من تأثير كبير على الشّعب والمجتمع الإسرائيلي، ولأنّ جزء كبيرا من المستوطنات الإسرائيلية القائمة سواءً في المدن أو في القرى في الأساس قائمة على قرى ومدن عربيّة فلسطينيّة، فإنّ إسرائيل قلقة من الخطر الذّي تشكّله الأقلّية العربيّة داخلها والتّي تعدّ اليوم بنسبة (18%) من مجمل عدد السّكان، لذلك فإنّ عودة اللاّجئين ستؤدّي إلى زيّادة الخطر الديموغرافي وتشكّل تهديدا لإسرائيل في حدود (1967م)**».[1] ، فاللاجئ الفلسطيني منذ تلك الفترة التي هجّر فيها من أرضه عنوة لازالت غصّة المنفى تراوده، كما أنّه لازال يحلم بالعودة إلى وطنه، هذا الحلم الذي عدّه الاحتلال مستحيلا.

[1] –رقيّة زيدان، أثر الفكر اليساري في الشّعر الفلسطيني، ص231.

وفي حنينه إلى الوطن، صوّر "درويش" في شعره وجعه وحنينه إلى وطنه فلسطين وقريته "البروة" مكان ولادته التي عاش فيها طفولته وذكرياته، وصوّر آلام غربته، حين كان يحسّ بحالة من العطش والجوع، عطش الشّوق لرؤيّة الوطن، وجوع الحنين إليه، فالوطن حاضر دائما في مخيّلته، حيث يقول: «**لم أعد طفلا منذ أدركت مخيمات لبنان في الواقع، وأنّ فلسطين في الخيال، لم أعد طفلا منذ مسني ناي الحنين، فكلّما كبر القمر على أغصان الشّجر حصرت في رسائل مبهمة إلى دار مريعة الشّكل، تتوسّطها توتة عاليّة، وحصان متوتّر وبرج حمام وبئر، وعلى سياجها قفير نحل يجرحني مذاق عسله، وطريقان معشوشبان إلى مدرسة وكنيسة**»[1]، ففي قصيدة بعنوان "وطن" صوّر الشاعر معاناته في السجن فقد عايش قسوة الظروف الصعبة داخل الزّنزانة من ظلام وحشرات وصقيع وحر، واغتراب

علقوني على جدائل نخلة

[1]–رقيّة زيدان، أثر الفكر اليساري في الشّعر الفلسطيني، ص232.

واشنقوني ... فلن أخون النخلة

هذه الأرض لي

وكنت قديما

أحلب النوق راضيا ومولّه

وطني ليس حزمة من حكايا

ليس ضوء على سوالف فلّة

وطني غضبة الغريب على الحزن

وطفل يريد عيدا وقبلة. [1]

فصراعه مع الاستعمار جعله يكتسب قوّة للرّد على الفكر الصّهيوني العنصري الممارس على الشّعب الفلسطيني، منذ أحداث النّكبة وما بعدها، وما عاشه شعبه من قهر واضطهاد ومعاناة وأحداث قمعيّة وتعسّفيّة، ومحاولات تهميش هوّية وآلام مريرة من مجازر ومصادرة أراضي وحصار ثقافي وعنصريّة، فهذه الأحداث كوّنت لدى الشّاعر أحاسيس

[1]ـ محمود درويش، عابرون في كلام عابر، ص 40.

الوجدان المقاوم والحسّ المناضل، وهذا ما جعله يردّ على المواقف العنصريّة، فيقول في قصيدة "نشيد" و"يشتمنا أعادينا":

هلا... همج هم ... عرب

نعم عرب

ونعرف كيف نمسك قبضة المنجل

وكيف يقاوم الأعزل

ونعرف كيف نبني المصنع العصري

ومستشفى

ومدرسة

وقنبلة

وصاروخا

وموسيقى

ونكتب أجمل الأشعار...[1]

وقد أكّد "درويش" على فلسطينيّته وانتمائه لأرضه والتراث العربي بموقف واع وثابت من خلال ردّه على مختلف الدّعاوي الإسرائيليّة التّي تقول أنّ الأجيال اليهوديّة الجديدة التي ستولد ستكون أكثر انتماء وأشدّ ارتباطا، يقول في قصيدة "عاشق من فلسطين":

فلسطينية العينين والوشم

فلسطينية الاسم

فلسطينية الأحلام والهم، فلسطينيّة المنديل والقدمين والجسم

فلسطينيّة الكلمات والصمت

فلسطينيّة الميلاد والموت

حملتك في دفاتري القديمة

وباسمك صحت بالأعداء:

[1]– محمّود درويش، عابرون في كلام عابر، ص145.

كلّي لحمي إذا ما نمت يا ديدان

فبيض النّمل لا يلد النسور...

وبيضة الأفعى...

يخبّئ قشرها ثعبان!

خيول الرّوم... أعرفها

أعرف قبلها أنّي

أنا زين الشّباب وفارس الفرسان! [1]

فسعى "درويش" إلى شحذ الهمم وبلورت وعي الجماهير وتحفيزها، وذلك لوعيه التام بقدرة الشعر على التعبير عن القضايا الوطنية والقومية، إذ يقول "محمّد دكروب" «**إنّ الشّعر لا يكون ثوريّا بقدر ما يحدث فقط من ثورة داخل الشّعر، إذا لم يكن متفاعلا حقّا، مع مهمّات الثّورة، ومع الجماهير... وهو كذلك لأنّه لا يمكن أن يمارس تأثيرا ثوريّا داخل**

[1]–محمود درويش، عابرون في كلام عابر،، ص82، 83.

الجماهير إذا لم يكن فنّا أصيلا بالأساس.» [1] فقد ارتبط "محمود درويش" بحركة الجماهير في الكفاح نحو تحقيق الأهداف السّياسيّة والاجتماعيّة.

أمّا "توفيق زياد" يرسم لوحته الشّعريّة بالصّمود والأمل والتّفاؤل رغم الضّياع، رغم التّشرّد ورغم المعاناة والجوع والفقر، ورغم الخيمة السّوداء والحنين، في عدّة قصّائد في مجموعته الشّعريّة "أشدّ على أيديكم"، وقصيدة "السّكر المرّ"، "المساكين"، "المصلوب" وفي قصيدة "ملتقى الدّروب" يجسّد زياد ملامح النّكبة وما تركته من أحزان وآلام وأشجان على الأطفال والأمهات والرجال حيث شبّه معانات وعذابات المدينة بعذابات المسيح وقد نظّم زياد هذه القصيدة عام (1963م) يقول فيها: [2]

أتيت من مدينة مشبوحة على الصّليب

معي تحيّة، حروفها لهيب

حملتها من وطني الحبيب

---

[1]– دكروب محمّد، الأدب الجديد والثّورة، دار الفارابي، بيروت، ط1، (1980م)، ص(41).

[2]_ أنظر رقيّة زيدان، أثر الفكر اليساري في الشّعر الفلسطيني، ص(104).

من المشرّدين في الجبال والسّهوب

من الذّين شقّقت ظهورهم

سياط الاستعباد

واهترأت أكفّهم ليتخم الأوغاد

من أمّهاتنا الملفّعات بالسّواد

من مقل الأطفال.

على الرغم من كل هذه المعاناة وبطش المحتل إلاّ أن الشاعر "توفيق زياد" ظهر عزمه واضحا في الصمود والتّشبث بالأرض فبقي صامدا كالجبل الشامخ، مؤكّدا انتمائه إلى أرضه، واصفا صمود الفلسطيني وتشبّثه بتراب أجداده، " **فالأرض عند الشاعر الفلسطيني المقاوم، ليست ترابا وسكّانا ومناخا وأشجارا، والأرض ليست تاريخا فقط، وليست جغرافيا فقط، الأرض عنده ذات مفهوم رمزي، ذات مفهوم حركي، وذات مفهوم اقتصادي، وكذلك**

سياسي، بالإضافة إلى مفهومها النفسي السيكولوجي."[1] ، فعلى الرغم من وسائل التّرهيب التي ينتجها الغزاة من أجل اقتلاع الفلسطيني من أرضه وجذوره، واجتثاثه من بلدته وقريته والقذف به خارجا، إلاّ أن الشاعر يؤكد وجوده الأزلي في أرضه، متيقّنا أن شعبه لن ينهزم لأنه سيصنع ثورته ويحقق الانتصار، مستهزئا بكل وسائل العدو القمعية، يقول في هذه الأبيات مخاطبا العدو:

أهون ألف مرّة

أن تدخلوا الفيل بثقب إبرة

وان تصيدوا السمك المشوي في المجرى

أهون ألف مرّة

أن تطفئوا الشمس، وأن.

[1]) _ أحمد موسى الخطيب: وهج القصيدة، دراسات في الشعر العربي المقاوم، مكتبة الرائد، عمّان، الأردن، 2010م، ص 55.

تحبسوا الرياح

أن تسترجوا البحر أن

تنطقوا التمساح

أهون ألف مرّة

من أن تميتوا باضطهادكم

وميض فكرة

وتحرفونها عن طريقنا الذي اخترناه

قيد شعرة. [1]

ولم يسلم شعراء المقاومة من مطاردة الاستعمار، فتعرّضوا لجميع أنواع التصفيات:

الجسدية والمعنوية، وتعرضوا إلى السجن والتعذيب في محاولة من الاستعمار لإطفاء نار

[1]) _إبراهيم الخليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة، عمّان، الأردن، ط1، 2003م، ص240،239.

المقاومة والتحريض التي ميّزت شعرهم، واسكات صوت الحق، غير أن ذلك لم يزدهم إلاّ قوّة وصلابة، عازمين على مواصلة مشوار النضال الذي يسري في أوردتهم إلى آخر قطرة من دمهم، يقول "توفيق زياد" ساخرا من السجّان، ومن أفعال المستعمر:

ألقوا القيود على القيود *** فالقيد أهوى من زنودي

لي من هوى شعبي ومن *** حب الكفاح ومن صمودي

عزم تسعّر في دمي *** نارا على الحطب الشديد. [1]

تجليات النكسة في شعر أبناء المقاومة:

لقد سيطرت حرب (1967) بنتائجها وأثارها في التكوين النفسي والفكري والسياسي للكتاب العرب، فمازالت هي الأقوى بتداعياتها وتوابعها المختلفة، ومازالت الحادث الجلل المقيم في الوجدان العربي، على امتداد مجرى الصراع العربي الإسرائيلي، فحرب (67)

[1]) _ توفيق زياد، الديوان، ص 102

فجّرت في الذات العربية والذات الفلسطينية تيارات ذات ايديولوجيات ثورية. وربما كان هذا هو منبع ذلك الشجن العاطفي الكسير حول هزيمة الذات والوطن وايديولوجية القوميّة الثورية. [1]

فأثّرت الهزيمة في الكتاب العرب ويظهر ذلك في قول الكاتب "لطفي الخولي": "**إن الحزن سيطر على العقول والقلوب، وأطلّ من العيون، وشاعت الكآبة واللامبالاة، وارتفع عدد المصابين بالأمراض العقلية والنفسية والعصبية.**" [2]

ويتحدث "غسان كنفاني" عن أدب المقاومة اثر الهزيمة فيقول: "**إن أدب المقاومة أدب ينوح ولا يبكي، لا يستسلم ولا ييأس، ولا يناقض نفسه، ويمرّ عبر تشنجات عصبية واهتزازات ناتجة عن سوء وعي الموقف على حقيقته لأن رؤيته لم تكن ارتجالا عاطفيا، ولكن وعيا عميقا ومسؤولا لأبعاد المعركة التي وجد نفسه في صميمها ولذلك فقد تجب**

[1]_ ينظر لطفي الخولي، حرب يونيو 1967 بعد 30 سنة، ص 81

[2]_رقية زيدان، أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني، ص 106

ظاهرة الانتكاسات الذاتية الرومانتيكية التي شهدها معظم الشعر العربي في هذه الآونة، والتي نلاحظ أنها تشتد وتأخذ طابع النواح والهستيريا والتّنصّل كلما كانت تجربة الشاعر نفسه أكثر بعدا عن ادراك أبعاد التزاماته ووعيها في السابق."[1]

كان للنّكسة الأثر البارز والمدى العميق في أدباء المقاومة وكان انعكاس ذلك واضحا في أدبهم ككل والجانب الشعري على وجه الخصوص، وقد حاربوا بكل ما أوتوا من كلمات خدمة لوطنهم ودفاعا عن أرضهم ومساندة لمناضليه، معبرين بشعرهم عن معاني الصمود والتّحدي والتفاؤل، فقد اتّخذوا موقفا ورؤية واضحة في الاستماتة والمقاومة لذلك نجد أن الشّاعر الفلسطيني استمدّ القوّة والثّبات من نكسة (67) بعد أن وعى ضرورة التزامه بقضايا وطنه من باب المسؤوليّة.

نظّم "سميح القاسم" عدّة قصائد ثوريّة ونضاليّة على أثر النّكسة بروح تفاؤليّة لمواصلة النّضال ضد المعتدي، فنظّم قصيدة، "حدث في الخامس من حزيران"، يقول فيها:

[1]_ . رقية زيدان، أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني، ص 106

يذكر القارئ

أو لا يذكر القارئ،

ما كنّا رويناه مرارا

في الدواوين القديمة

يذكر القارئ

أو لا يذكر القارئ،

ما منّا رويناه مرارا

لكنّا أعدناه مرارا

في عبارات سلمية:

ضربة البرق التي تنقض في عرض الطريق

تغمر العابر بالضوء،

ولو كان الحريق!

... ...

يذكر القارئ

أو لا يذكر القارئ

لكني، لكي يفهم كل الناس ما قلت

أعيد:

نحن، في الخامس،

من شهر حزيران،

ولدنا من جديد. [1]

[1])_ سميح القاسم، الديوان، ص 668، 669

ويقول في قصيدة " في الخامس من حزيران" التي عبّر فيها على الحال الشوهاء، المغلوبة والمخضّبة بعار الهزيمة التي نتجت عنها كل المساوئ التي أصابت الأمّة في مقتل:

في شهر حزيران الماضي

أرجعنا للموت حقائبه الدبلوماسية

في الخامس،

من شهر حزيران الماضي،

جرّدنا الريح الغربية

من كل الأوسمة المطلية

بدماء الأطفال وعار الأنقاض

في الخامس،

من شهر حزيران الماضي،

طار جميع القتلة للأمم المتّحدة

واشتركوا بالجلسة غير العادية

في الخامس،

من شهر حزيران الماضي،

ظلت آبار النفط العربية

ظلّت تتدفق عبر الأرض العربية

ظلّت تتدفّق عبر الأرض العربية

لبلاد الريح الغربية

في الخامس،

من شهر حزيران،

لا أبكي

لا أضحك.[1]

وقد عبّر شعراء المقاومة بصدق عن تجربة النّكسة، وعن الحياة السياسيّة والاجتماعيّة التّي اتّسمت بالواقعيّة الثّوريّة "**فكانت أشعارهم مزلزلة ناريّة ومبشّرة بمرحلة جديدة وبروح مفعمة بالتّفاؤل، قدّم "توفيق زياد" مجموعة من القصائد عبّر فيها عن مرحلة النّكسة، مشجّعا الإنسان العربي على أن يقف أمام الموت وينهض شامخا، فنظّم "شدّة الحبّ" "الغريب الآتي"، "يا بلادي"، "الغمام الأسود"، "هكذا مات" ، "لا تقولوا لي"، "ثلج على المناطق المحتلّة" "ادفنوا أمواتكم وانهضوا"، "خطوة إلى الخلف- عشر إلى الأمام**""[2]، يقول في قصيدة "يا بلادي" المفعمة بالروح الثورية والتي يريد من خلالها بث الأمل في شعبه للنهوض من جديد:

[1] _ سميح القاسم، الديوان، ص 429، 430.

[2] _ رقيّة زيدان، أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني، ص 107.

يا بلادي

أمس لم نطف

على حفنة ماء

ولذا لن نغرق السّاعة

في حفنة ماء

كبوة هذي

وكم يحدث

أن يكبو الهمام

انّها للخلف كانت خطوة من أجل عشر للأمام. [1]

يعي "محمود درويش" المقاومة ويعي دور الكلمة فيها، فيستقبل كارثة (1967م) بالحزن الشّديد، ولكن سرعان ما يتبدد هذا الحزن وينقلب إلى إصرار وعناد وثبات، فنظّم

[1] – رقية زيدان، أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني، ص107.

قصيدة "موّال"، "مطر ناعم في خريف بعيد" "كتابة بالفحم المحترق"...، يقول في قصيدة "قاع المدينة":

عشرون أغنيّة عن الموت المفاجئ

كلّ أغنيّة قبيلة

ونحبّ أسباب السّقوط

على الشّوارع...

كلّ نافذة جميلة

والموت مكتمل ففي ملئ الهزيمة يا مدينتنا النّبيلة. [1]

من خلال هذه النماذج من الأشعار التي ذكرناها سابقا والتي تجلّت فيها أبعاد القضية منذ بروز خيوطها الأولى، نجد أن شعر المقاومة داخل الأرض المحتلّة جاء وليدا للظروف الخاصة والقاسية التي كابدها الشعب الفلسطيني، فنشأ شعرا تحريضيا يسعى للتغيير ولا

[1] –رقيّة زيدان، أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني، ص112.

يرضى بالواقع الآسن، كما نشأ شعرا ذا مذاق خاص كان تركيزه الأساسي على قضية الصراع العربي الإسرائيلي، داعين من خلاله إلى تحرير الأرض من المحتلين الغاصبين والتّشبث بها والصمود في مواجهة الأعداء، مؤكدين انتماءهم إلى الأمّة العربية على الرغم من محاولات العدو القمعية في اخماد صوت الحق، فانطلقت بندقية الفدائي وشعر المقاومين من الداخل المحتّل، فالمقاومين شعرا ولدوا مع المقاومين دما، " **وتهاوى الشباب عشقا للموت الجديد وللشعر الجديد، وأشرقت ابتسامة درويش وبراءة سميح وبرهن الشعر ثانية أنه دم آخر للشعب العربي وأنه الرد الإنساني على الاعلام.**"[1]هذا من الناحية الفنية الجمالية، أما من ناحية شكل القصيدة "**فلم يقف الشعر الفلسطيني وقفة المتفرّج إزاء حركة التطوير في الشعر العربي، ولذا فإننا نجد الشعراء قد استخدموا نمط الشعر الحر واستخدموا أنماطا من التقفية متعدّدة، هذا وإزاء ظروفهم الخاصة فإنّ الشعراء لجؤوا إلى**

[1]_مطاع صفدي، مقدمة ديوان سميح القاسم، ص 5.

استخدام معجم شعري خاص بهم، يعمد بالأساس إلى الاقتراب م لهجة الحديث اليومي،

ويقلّد أحيانا لغة الكتب المقدّسة لما يعني ذلك –بالنسبة لهم– من أصالة"[1]

[3])_ صالح خليل أبو أصبع، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلّة ما بين عامي 1948 _ 1975،طبع من طرف جامعة فيلادلفيا، عمّان، الأردن 2009م، ص 460

لا يختلف اثنان في القول أن الشعر المغاربي الحديث والمعاصر هو امتداد لنظيره في المشرق، يرتبط معه ارتباطا وثيقا، ويمتاح منه الكثير من عناصره، فقد تأثر شعراء المغرب العربي بشعراء المشرق، خصوصا الشعراء الروّاد الذين أقاموا ثورة على الوزن والقافية، أمثال، نازك الملائكة، أدونيس وبدر شاكر السياب...ليقيموا بعد ذلك البنيان الشامل والخاص للقصيدة المغاربية، لكن هذه الخصوصية لا تبتعد كثيرا عن تلك الخصوصيات المشرقية، بل إن أوجه التوافق تطغى على أوجه الاختلاف وذلك بسبب "**تشابه الظروف التاريخية والسياسية على الخصوص فشروط التخلف والقهر والمجتمع السلطوي، وما واكب كل ذلك من انكسارات وهزائم متتالية (نكبة فلسطين، هزيمة 67..) والهجمة الشرسة على رموز اليسار الداعين إلى الانعتاق والحرية، كل ذلك أدى إلى توحيد الرؤية لدى العديد من الشعراء العرب، رغم اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم الفكرية وطبقاتهم الاجتماعية، هذه الشروط التي حكمت واقع الشعراء سنجد لها انعكاس واضح في قصائدهم ويمكن أن نرصد هذا الانعكاس أو هذه**

الرؤية في هيمنة وسيادة ثنائية بارزة رغم اختلاف مسمياتها هي: ثنائية الحزن والفرح أو الأمل والألم، الهزيمة والانتصار وأحيانا الفجر والليل، المشرق والمغيب، الحيلة والموت، الشهادة والاستشهاد...". [1]

كل هذه الأمور ولّدت أدبا مغاربيا واكب التطورات الحديثة وما تلاها في الساحة العربية ككل، وكانت سمته البارزة ذلك الحزن والتفجّع لما آل إليه الوطن العربي في تلك الفترات العصيبة، لأن الهزيمة رجّت كيان المغاربي رجّا وزعزعت كل القناعات التي كان أغلبهم يستندون إليها في أمان واطمئنان، وفتحت البصائر على تلك النقائص التي كبّلت الخطوات نحو المضي قدما، فبات من الواجب تجاوزها بكل ما تطلبه هذه المرحلة من جرأة، والتطلع إلى غد أفضل، يضفي إلى ذلك الحزن القليل من الأمل الذي بات من الواجب التسلح به إذ كان لابد له أن يرسّخ حضوره عند الشعراء، كيف لا وهم لسان حال قومهم

[1])_حسن الرمتوني، القدس في الشعر المغربي المعاصر، صحيفة الاتحاد الاشتراكي www.maghres.com (19/03/2019)

والناطقين بآهاته، فالشاعر في هذه المرحلة كان لابد له أن يمزج الجانبين، ونقصد هنا ذلك الجانب الناصع والقاتم من الحياة المعاصرة، بعدما ألقي بالجميع من أعلى القمة الطافحة بالأمل إلى قاع الهاوية الحافلة بالذل والإحباط واليأس.

هاتان الظاهرتان اللّتان ميّزت الشعر المغاربي المعاصر نجد لهما صدى واسع لدى بعض النّقاد المغاربة، يعبّر أحمد المديني عن هذه التجربة بقوله: "...**كان الوجدان الشعري يغلي ذاتيا ويحترق بوقود المطامح المتبخرة ...إن مجرد استقراء عام للأشعار المنشورة منذ أوائل الستينات على الأقل، يكشف وجود محورين يستقطبان معظم اهتمامات الشعراء المغاربة... بإجهاض مشروع التحرر الاجتماعي، وهكذا أمامنا شعرا مصعوقا بالخيبة** ..."[2] فالحكم على الشعر المغاربي الحديث من طرف النّقاد المغاربة في هذه الفترة، كان انعكاسا على آراء الشعراء أنفسهم، وذلك بإدراكهم أنّ التجربة الشعرية تحكمها ثنائية الألم والأمل، وهو ما نلتمسه في قول الشاعر المغربي محمد الأشعري متحدّثا

[2]) _ حسن الرمتوني، القدس في الشعر المغربي المعاصر.

عن تجربته الخاصة، يقول: «**العبور من هذا الواقع لهذا الحلم يخلق حالة شعورية، هي التي يمكن أن نسميها الحزن... إنني أحلم كثيرا عندما أكتب، وأحزن كثيرا عندما أكتب، ليطلقوا على ذلك ما شاءوا من الأسماء...**"[3]

وفي نفس الصدد يساير "محمد الميموني" هذه الآراء، عندما تحدث عن تلك الميزة التي ميّزت الشعر العربي الحديث والمعاصر عامة والمغاربي بشكل خاص، في قوله: " **كل قصيدة من شعري تكوّن جانبا من شخصيتي منها ما يصورني منكفئا على نفسي مجترا لآلامي، منها ما يصورني منفتحا على الناس وآمالهم وآلامهم.**"[4]

وقد شكّلت القضية الفلسطينية في الابداع الشعري المغاربي محورا أساسا وميزة بارزة في دواوين أغلب الشعراء الذين دفعهم الالتزام بقضيّة الأمّة الأولى إلى السّير بثبات نحو نصرة القضية بالكلمة الشاعرة التي تحمل في ثناياها أصوات كل أبناء المغرب العربي،

[3]_ حسن الرمتوني، القدس في الشع المغربي المعاصر.
[4]_ المرجع نفسه.

والقصيدة الشعرية المغاربية لم تخرج عن هذا الإطار، إذ لا نكاد نجد شاعرا مغاربيا إلاّ وتخللت قضية الأمّة الأولى دواوينه، فقد أدّى اغتصاب الأرض الطاهرة من طرف المغتصبين الصهاينة وتآمر الغرب الاستعماري في هذا الاغتصاب الجائر إلى إحداث شرخ مؤلم في الجسد العربي والمغاربي على وجه الخصوص، فكان قدر الشعراء خصوصا هو تشرّب مرارة النكبة، فجاءت قصائدهم داكنة مريرة، تتأرجح بين الألم والأمل، لكن لا يمكننا اخفاء سمة الحزن المفعمة بالأسى والإحساس التي طغت على أشعارهم خصوصا مع توالي الهزائم «**إذ قدمّت النكبة لشعرائها مادة واقعية غنيّة، وشغلت بمئاسيها وويلاتها، وأهوالها الضمير العربي فانطلقت الصرخة من أعماقه داعية إلى مطاوعة الأدب الحديث لواقع الأمة المرير، ليعيش الأدب تجربة الأمة.**"[5] والنكسة التي تبعت النكبة كانت أشدّ وقعا على الوجدان العربي و المغاربي على وجه الخصوص، حيث ولّدت أدبا سياسيا عربيا حاول منتجوه من منطلقات فكرية متنوّعة، وعي معناها ومعرفة أسبابها وتلمّس السبل الكفيلة

[5]_ صالح الأشتر، في شعر النكبة، ص 87.

بتجاوزها، والتصوير الشعري لهذه المراحل من الذهول لما حدث للأرض العربية كان مفعما بالأسى مع القليل من الأمل الذي كان لابد أن يسجّل حضوره، فالأمة العربية واكبت الأزمات منذ الأزل، لكنّها لم تركع وبقيت تطمح إلى الأمل، وهي لازالت تفعل ذلك علّها توقظ ضمير النائمين الذي يبدوا أنه لازال في سبات عميق منذ أن حرر صلاح الدين بيت المقدس من أيد الغزاة الصليبيين، وقد استلهم الشعراء هذا النصر في قصائدهم لبعث روح الأمل والتفاؤل في النفس العربية.

المبحث الأوّل: تجليات القضية الفلسطينية في الشعر الجزائري

إنّ عمق العلاقة الأخوية الوطيدة التي تربط الشعب الفلسطيني والجزائري منذ فترة ما بعد الثورة وإلى وقتنا الحالي، ورمزيّة المسجد الأقصى لدى الجزائريين، ومدى همجيّة وبشاعة الاحتلال الذي مسّ الشعبين الفلسطيني والجزائري على حد سواء، وصمود الشعب الأبيّ، وكذلك الوضع الذي آلت إليه القضية الفلسطينية بعد سنوات طوال من المقاومة، جعلها قضية الشعب الجزائري الأولى ونخبه وسياسييه وأدباءه.

ارتبط الجزائريون بقضية فلسطين ارتباطا وثيقا منذ أن بدأت خيوط المأساة تحاك ضد الشعب الفلسطيني الأعزل، نظرا لتشابه الظروف التاريخية عند كلا الجانبين، فإذا نظرنا إلى ما عاشه الشعب الجزائري من استعمار وبطش وتسلّط وما عاشه الفلسطينيون من قهر وذلّ واحتقار نجد أنّ: «**كلاهما عرفا الاستعمار الاستيطاني وذاقا الإرهاب بشتى صوره وأشكاله، وتعرّض لمحاولات القضاء على مقوّماته الأصليّة من لغة ودين وتاريخ وحضارة، ومحاولة إلغاء كيانه ومحوه من الوجود. وهذا ما يفسّر اهتمام الشعراء الجزائريّين بالقضيّة**

الفلسطينية، وكان إحساسهم حاد وعنيف ضد الاستعمار والصّهيونيّة والتّسلط والغزو الأجنبي» [6].

وإذا ما تحدثنا عن الجانب الأدبي ونخص بالذكر الجانب الشعري في تبنّيه للقضية الفلسطينية ونصرته لقضية الأمّة الأولى، فإنه من يلاحظ المنتوج الشعري الجزائري في الفترة الحديثة وما تلاها يجد أن فلسطين لا تبرح خواطر الشعراء الجزائريين، فهي في أذهانهم في كل وقت، ويذكرونها في كل مناسبة، وهذا راجع إلى تفاعل الجزائري مع قضايا أمته والتزامه بها، على الرغم من المعيقات التي كان يمارسها في حقهم الاستعمار الفرنسي الغاشم "**لأن صلة الشاعر الجزائري بالمشرق العربي وقضاياه ومشاغله صلة وطيدة وعريقة، وتأتي قضية فلسطين في المقدمة بحيث لا نغالي إذا قلنا أن النتاج الأدبي الجزائري شعرا ونثرا في**

[1]) _عبد الله الركيبي ، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 41_42

القرن الماضي دار في معظمه حول ثلاث محاور: الوطنيّة، الوحدة العربيّة وفلسطين."[7]

لقد كان الأدب في الجزائر بشقّيه وبشكل خاص الشعر مسايرا للقضيّة الفلسطينية منذ بروز الخيوط الأولى للمأساة في العشرينات من القرن الماضي، وكان الشّعراء يصدحون بالحق، ويستغلّون كلّ مناسبة لتأييد هذه القضية الإنسانية بالدرجة الأولى قبل أن تكون قوميّة، فتتبّعها مرحلة مرحلة وواكب جميع تطوراتها منذ (وعد بلفور)، مرورا بالنكبة إلى النكسة وصولا إلى الانتفاضات الشعبية، فاتخذوا من الواقع المرير الذي عاشه الفلسطيني منهلا للتّعبير عن مشاغل أمّتهم وهمومها.

ومن الأشعار الأولى التي تناولت القضية الفلسطينية قصيدة لشاعر جزائري ناشئ لم يذكر اسمه خوفا من رقابة الاستعمار الفرنسي البغيض المتصهين، كتبها سنة (1930م)، ونشرها آنذاك بمجلّة "الشّهاب" الجزائريّة، يصوّر فيها مشاعره النّابضة نحو القدس وساكنيها،

[7]_ عبد الله الركيبي، فلسطين في النثر الجزائري الحديث، مجلة الثقافة الجزائرية، العدد 17 ، جوان_ جويلية 1975م.

ويعبّر فيها عن تعاطف الشّعب الجزائري كلّه مع الشّعب الفلسطيني الشّقيق انطلاقا من إحساسه بخطر الاحتلال الصّهيوني على قدس العروبة، يقول: [8]

ناشدتك اللّه يا قدس العروبة لا *** تقم حسابا لمن قد رام تمويها

فما طموح يهود الشّرق ينفعهم * ** ولا ينالون إلا المقت تشويها

يا أمّة القدس لا يحزنك مطمحهم * ** فإنّ للقدس ربّا هو يحميها

أمّا الجزائر فهي من مصابكم *** في حرّ نار الأسى تشكو لباريها

آه على أمّة القدس التّي بسطت *** للجار إحسانها واسأل مجيريها

آه على كأس ذلّ وهي ترشفها *** وعن صغار كآبات تقاسيها.

يتبيّن من خلال هذا المقطع الذي اختلّ فيه الوزن أكثر من مرّة، مدى تمسّك الجزائري بقضيّة فلسطين، في ظل الاستعمار الذي كان بدوره يكابد ويلاته، فلم ينسى اخوانه في

(1) _ ينظر صالح خرفي، الجزائر والأصالة الثّوريّة، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1977م، ص49.

فلسطين، ولم ينسى المسجد الأقصى الذي طالته أيادي بني صهيون القذرة، كما أنه تحسّر على الوضع الذي آلت إليه تلك القطعة من الأرض العربية، ودعا الى الثورة ضد المغتصبين الذين عاثوا في الأرض الطاهرة فسادا.

وعندما قامت الثّورة الفلسطينيّة سنة (1936م) التي كادت تقضي على النّفوذ الانجليزي والوجود الصّهيوني، حيث بدأت الثّورة بإعلان إضراب عام في جميع أنحاء فلسطين العربيّة تعبيرا عن سخط الشّعب الفلسطيني على الانتداب البريطاني والدّولة اليهوديّة المقترحة، وسرعان ما تحوّل الإضراب إلى ثورة عالميّة مسلّحة، وتوافد المتطوّعون من البلاد العربيّة المجاورة، واهتاج الرأي العام العربي في مختلف الأقطار العربيّة، وشعرت السّلطات البريطانيّة بالخطر، فاستخدمت الدبابات والطائرات في قمع الثّوار، وأخذت تنكل بالأحرار من أبناء فلسطين، فاتضحت دسائس الغرب الاستعماري في التحضير لدولة يهودية مزعومة على الأرض العربية[9].

[9]– ينظر عبد اللّه الركيبي، قضايا عربيّة في الشعر الجزائري المعاصر، ص 56، 57.

وفي ظل هذا الذهول لما حدث للأرض العربية المباركة، ما كان على الشعراء الجزائريين إلا أن يقفوا بأصواتهم الشاعرة وحناجرهم المندّدة وصرخاتهم الغاضبة، منددين بكل من يقف وراء هذا الاغتصاب الجائر للأرض الفلسطينية، ومساندين لإخوانهم الفلسطينيين بعد أن مات الضمير العربي، ومناصرين للقضية، وداعين إلى توحيد الصفوف والوقوف في وجه العدوان الغربي والصهيوني بعد أن حلّت المأساة وتبعتها الهزيمة، فكان عليهم تشرّب مرارة هذه الأخيرة ليساندوا إخوانهم بالكلمة الحرّة التي تحمل في طيّاتها أصوات كل الشعب الجزائري.

فهذا محمد العيد آل خليفة من خلال قصيدة كتبها بمناسبة الثورة الفلسطينية الكبرى سنة 1936 والموسومة ب "بني التّايمز" قاصدا بذلك الانجليز زعماء المؤامرة الذين حمّلهم بيع قدس العروبة إلى شرذمة من اليهود، وكأنه أحس بذلك الخطر الداهم على الأرض الفلسطينية الطاهرة، يتوعّد بثأر العرب المعروفين منذ زمن بعيد بالحروب الضروس من مغتصبهم وممّن باع أرضهم للّذي لا يملك فيها دينارا ولا درهما يقول فيها:

بني (التّايمز) قد جرتم كثيرا *** فهل لكم عن الجور ازدجار؟

في أسواقكم نصبا وغضبا *** تسوم (القبلة) الأولى التّجار

أخال القبلة انسجرت دماء *** كما للبحر باللّجج انسجار

ترون لها سوى العربي أهلا *** وتأبى التّرب فيها والحجارة

فليس لها بلا فمه لسان *** وليس لها بلا دمه نجار

ألم يؤلمكم حرم مباح؟ *** وشعب يستجير ولا يجار

إذن فالحرب للعربي دأب *** وهل تخفى (البسوس) أو الفجار

شددتّم قهره فعلا انفجار *** وعقبى شدّة القهر انفجار. [10]

إنّ هذا الشعور بالخطر جعل الشّاعر محمّد العيد كغيره من الشّعراء العرب والمسلمين، يحسّ بهذا الإحساس العارم بالقدس وفلسطين وأرضها ونضالها، وخاصة بعد أن بدأت خيوط المؤامرة تتّضح والأطماع الصّهيونيّة تكشّر عن أنيابها بعدما دعت "لجنة بيل" إلى تقسيم فلسطين كحلّ وسط، أحسّ الشّاعر بالكارثة وتألّم من هذا المشروع المبيت وشعر بالخطر

[10]– محمّد العيد آل خليفة، ديوان شعر مطبوع، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1992، ص374.

على فلسطين التي يقدّسها ويحمل لها في نفسه (كغيره من أبناء العرب والمسلمين) تقديرا خاصا لما لها من مكانة في النّفوس. [11]

فنجد الشاعر يرد على ذلك التقسيم الباطل الذي وصفه بالتّقسيم الجائر والأعوج في مطلع القصيدة، محدّثا أن القدس عربية منذ الأزل وستبقى، لا تقبل أي قسمة ولا شريك، كما أنه يشحن الهمم للنضال ضد المستعمر الغاشم الذي سلب أرضا لا يملكها وأعطاها لمن لا يستحقها يقول:

يا قسمة القدس أنت ضيزى *** لم يعدل القاسمون فيك

مضوا على الحيف لم يبالوا *** بما جرى من دم سفيك

القدس للعرب من زمان *** لم يقبلوا فيه من شريك

قد سامه الأجنبي خسفا *** وهدّ من ركنه السّميك [12]

(11)– عبد اللّه الرّكيبي، قضايّا عربيّة في الشعر الجزائري المعاصر، ص58.

(12)– محمّد العيد آل خليفة، الديوان ، ص314.

وفي سنة (1938م) نظّم الشّاعر قصيدته الموسومة بـ "يا عام" ونشرها وهو يناجي فيها هذا العام ويستنطقه، ويتحدّث فيها عن القضيّة العربية كلّها سواء فلسطينية أو في شمال إفريقيا وما يجري فيها من مظالم ومآسي، يقول:

يا عام هل فيك خير للمسلمين يرجّى
أخوك يا عام فيه ليل المظالم دجّى
صبّ الأذى فيه صبّا فرجّت الأرض رجّا
ألم ترى الشّرق فيه من المظالم دجّى
سيمت فلسطين خسفا عجّ الحمى منه عجّا
هذا عن الأهل أقصي وذاك في السّجن زجّا
وفي الشّمال هنات يمجّها الذّوق مجّا
والشرق ولهان يرجوا أن يسلك الأمن فجّا
يودّ اقناع خصم في غمطة الحق لجّا

ويبتغي ردع جان وجه العدالة شجّا. [13]

يناجي الشاعر في هذه الأبيات هذا العام الذي نظّم فيه أبيات القصيدة (1938) عندما كانت الحرب تدّق طبولها في فلسطين وعندما كان الشعب الفلسطيني يقاوم عدوّه رغم نقص العتاد، يتحدث فيها عن المظالم التي يعيشها الشعب الفلسطيني والعربي عامة على أيدي الطغاة الحاقدين الذين أشعلوا نار الحروب التي لم تخبو منذ أن وطأتها أقدام الاحتلال وطالتها أيادي الفاسدين، متحسّرا ويائسا من الوضع الذي آلت إليه فلسطين وأبناء العروبة في غفلة نائمين، وكأنه يخاطب الحاضر في الماضي بحيث مازال العربي وخاصة الحكام يؤمّنون اليهود المعروفون بكيدهم ودسائسهم وخبثهم منذ القديم.

وفي نهاية القصيدة، يعود الشاعر إلى مخاطبة هذا العام الذي شبهه بالطفل الذي لا يملك المقدرة على الإفصاح عمّا يجوب بخواطره، وذلك منطبق على أعوام أخرى سبقته يقول:

يا عام أشبهت طفلا *** بالأبجديّة هجا.

(13)– محمّد العيد آل خليفة، الديوان، ص381، 385.

هل يبلغ الشّطَ أمر *** كالفلك فيك يزجى؟

وهل ننجى قريبا *** من الأذى هل تنجى؟[14]

لم يكتف "محمد العيد آل خليفة" بمجرّد التّعبير عن تضامنه مع القضيّة الفلسطينيّة وتأييده لقضايا الأمة العربيّة كلّها، بل غيّر لهجته من التّضامن إلى التّهديد والوعيد، ووصف أخلاق اليهود وطباعهم الشريرة التي عرفوا بها كالخداع والجبن والغرور وسواهم، يقول في قصيدته "فلسطين العزيزة":

فلسطين العزيزة لا تراعي *** فعين اللّه راصدة تراعي

وحولك من بني عدنان جند *** كثير العد يزأر كالسباع

إذا استصرخته للحرب لبّى *** وخفّ إليك من كلّ البقاع

يجود بكلّ مرتخص وغالي *** ليدفع عنك غارات الضّباع

بليت بهم صهاينة جياعا *** فسحقا للصّهاينة الجياع

[14]–المصدر نفسه، ص388.

ستكشف عنهم الهيجاء سترا *** وترميهم بكل فتى شجاع. [15]

ليردف الشاعر زيادة على ذلك في عد الأوصاف والطبائع الخبيثة والشريرة التي يتميز بها اليهود، وأخلاقهم السيّئة المعروفة في كل الأزمنة والأمكنة، من خلال قوله:

وكيف يصادف العبري نجحا *** وما أخلاقه غير الخداع

وقد اشتهر اليهود بكلّ قطر *** بأنّ طباعهم شرّ الطّباع

قد اغتز اليهود بما أصابوا *** بأرض القدس من بعض القلاع

متى كان اليهود جنود حرب *** وكفؤا للأعارب في الصّراع. [16].

إن هذه الصور السّاخرة الحادّة، تكشف دون شك، عمّا في أعماق الشاعر من غضب واحتقار لهذا الشعب الهجين الذي استوطن فلسطين، فقد كشف في صورة بارزة تلك الأوصاف

[15]–محمّد العيد آل خليفة، الديوان، ص334.

[16]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

والطبائع الشريرة التي يمتاز بها بنو صهيون من مكر وخداع وسلب وخيانة ونفاق واغتصاب للمقدسات...

ليختم قصيدته بهذا الصوت الحاني، متوجّها به الى عزيزته فلسطين، وكأنه يصبّرها على آلامها ويطبطب على جراحها، ليواسيها ويبث فيها روح الأمل من خلال نجدة الإخوان العرب، الذين لن يتخلّفوا عن واجب الأمّة الأول، ألا وهو تحرير القدس من أيدي الطغاة، يقول:

فلسطين العزيزة لا تخافي *** فإنّ العرب هبّوا للدّفاع

بجيش مظلم كاللّيل غطّى *** حيالك كلّ سهل أو يفاع

وما أسيافه إلاّ نجوم *** رجوم لليهود بلا نزاع

يرابط في ثغورك مستعدّا *** على الأهبات للأمر المطاع

ونحن بني العروبة قد خلقنا *** نلبّي للمعارك كلّ داعي

لنا في الحرب غارات كبار *** وأيّام مخلّدة المساعي

وكيف نذّل أو نرضى انخفاضا *** ونجم جدودنا نجم ارتفاع [17].

زيادة على سلاسة كلمات هذه الأبيات وخلوّ معانيها من التّكلف، والتي تنبع من قلب صادق ملؤه العطف والاحساس فهي في الأغلب واضحة مألوفة، مجّد فيها الشّاعر بطولات العرب في الدّفاع عن الأمّة، ولهم في التاريخ أمجاد وشواهد ما فتئ العرب يفتخرون بها، فهم خلقوا للحروب والمعارك ومواجهة المستعمر، لا يقبلون الذّل والمهانة، وكيف لهم أن يفعلوا ذلك وهم الذين استمدّوا شجاعتهم ومواجهة الباطل من أمجادهم، فقد خلّدوا بطولات أجدادهم وعملوا بها واتّبعوا سبلهم واتّخذوا من سيوفهم نجوما يواجهون بها سيطرة وتسلّط كل من تجرأ على زعزعة كيانهم.

والحال كذلك في قصيدته التي كان عنوانها "هجيت وجدي" والتي نظّمها ردّا على رسالة شعرية كان قد أرسلها له صديقه الشاعر "أحمد سحنون" عام (1948) في عام الاحتلال الصهيوني للأرض المباركة، وهي قصيدة حماسية في مجملها، يستنكر فيها الأعمال الشنيعة

[17]– محمّد العيد آل خليفة، الديوان، ص335.

التي أقدم عليها الصهاينة متوعدا ايّاهم برد الصاع صاعين، ومدافعا عن الحق المشروع للفلسطيني ومقدّساته في أرضه، مستنكرا قرار التقسيم الجائر في حق الفلسطينيين، يقول فيها:

قل لابن صهيون اغتررت فلا تجر *** إنّ ابن يعرب ناهض للثّأر

أعرضت عن خطط السّلام مولّيا *** فوقعت منها في خطوط النّار

لا تحسبن بأنّ صبحك طالع *** فالبدر ويحك خادع للسّاري

سترى أمانيك التّي شيدتها *** منهارة مع ركنك المنهار

القدس لابن القدس لا لمشرّد *** متصهّين ومهاجر غدّار

يا لجنة التّقسيم جدت عن الهدى *** وسخرت منه فبؤت بالإنكار

القبلة الأولى التي استصغرتها هي للعروبة قبلة الأنظار. [18].

[18]– محمّد العيد آل خليفة، الديوان، ص330.

في هذه الأبيات يركّز الشّاعر على فكرة مفادها أنّ الاستعمار مهما حاول سلب ممتلكات الفلسطينيين بتسلّطه الجائر، إلاّ أنّ فلسطين تبقى أرضا عربية فلسطينية، ويؤكّد أن العرب لا يتخلّون عن حقّهم مهما كان الثمن غاليا.

ومن شعراء الجزائر الذين ساندوا القضية من باب القومية العربية ومن باب تلك العلاقة الأخوية المتينة التي تربط الشعبين الجزائري والفلسطيني، الشاعر "محمّد جريدي" وهو من الشعراء الجزائريين الذين جعلوا من الكلمة منبرا للحرية، حيث هاجم العدو الصهيوني، وأبرز دور المقاومة، بوصفها السبيل الوحيد لتحرير فلسطين، فشارك الفلسطينيين آلامهم حين بدأت خيوط المأساة تتضح لكل عين، ولعل صوته الصارخ العابر للحدود، وشحنات الغضب التي كان يفجّرها في قصائده الحماسية جعله ينفرد نوعا ما عن بقية الشعراء الجزائريين الذين كانوا تحت وطأة الاستعمار البغيض، وما كان هذا الأخير يمارسه من تضييق على كل من يريد الخروج عن أوامره وقواعده، فكانت قصائد "محمّد جريدي" حمما بركانية تتطاير في وجه أعداء الإنسانية «**إنّه وهو يعتلي المنبر مستنفرا ومستصرخا، لا يستنفرّ الشعب العربي في**

الجزائر، بل الشّعب العربي في كلّ قطر، ولا يكتفي بالتّهديد الأعزل وهو يواجه الصّهيونيّة، ولكنّه يطلق الأوامر الصّارخة وهو يستثير الشّعب العربي، ولا يرضى بالتّغمة التّقريريّة المانعة، ولكنّه يعمد إلى الومضات التحريضية الجارحة، مستمدّا لها في شرف العروبة وقدسيّة الإسلام كلّ عناصر التّأثير»[19]، يقول:

أيا شعب جاهز بالقتال على العدا *** فلم يبق في دفع المظالم كتمان

فلولا التهاب العنصريّة في الحشا *** لما استفحلت صهيون وأدناس عربان

فوا عجبا من قصّة الأسد قد غدت *** يهاجمها في المربض اليوم جرفان

تنمّر كفّار (الكليم) كأنّ لم *** ينصّ لنا عن ذلهم قرآن قرآن[20].

حثّ الشاعر العرب في هذا المقطع على ضرورة الاستنفار لمواجهة هذا العدو الذي تمادى في تقتيله وتنكيله وتهجيره وتجويعه للفلسطينيين بمساندة عديمي الضمير والنخوة من

[19]– صالح خرفي، الجزائر والأصالة الثّوريّة، ص50.

[1]– صالح خرفي، الجزائر والأصالة الثورية، ص 50.

العرب وحاكميهم الذين كان لهم الفضل الكبير في بيع فلسطين إلى شعب هجين وفئة كانت هائمة في أقطار الأرض، وهي المعروفة بدسائسها وكيدها وخبثها، كما ورد في القرآن الكريم.

«وبدأت الحرب ودخلت الجيوش العربية إلى فلسطين، وهبّ الشّعب الجزائري يناصر فلسطين، ففتح باب التّطوّع لتحريرها، ونظّمت الحملات لجمع التّبرّعات لمساعدة الثّوار، ومقاطعة البضائع اليّهوديّة، وأنشأت بعض اللّجان للدّفاع عن حقوقها» [21].

لقد ألمّت تبعات الواقع الأليم الذي آلت إليه فلسطين في أيام النكبة على الجزائري مثلما كان الحال على العربي، فبات من الواجب تجرّع مرارة هذه الأحزان التي كان طعم مرارتها يزيد يوما بعد يوم، كما يجب أن ننوّه أن الجزائر كانت تعيش تحت وقع الاستعمار الذي كان يقطع كل سبل الاتصال مع العالم الخارجي وخاصة مع العرب وخصوصا فلسطين، فكانت الجزائر تشتكي وتناضل من أجل استقلالها، لكن ذلك لا يعفيها من المسؤولية التاريخية وواجبها تجاه القضية، فعلى الرغم من كل هذه المعيقات والحواجز التي كانت تمارس ضد الشعب

[21]– حواس برّي، شعر مفدي زكريّا (دراسة وتقويم)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص138.

الجزائري وبخاصة المثقفين منهم إلا أنهم بقوا أوفياء لقضية فلسطين التي ساووها مع قضيتهم

فقد " **وجّه الاستعمار ضربات قاسية للمثقفين الجزائريين، فقتل من قتل، ونفى من نفى، وزجّ بالسجون من شاء، واضطهد كل من بقي طليقا، قصد منعه من القيام بواجبه نحو المجتمع، حيث أن إدارة الاحتلال فرضت عقوبات صارمة ضد كل من تسوّل له نفسه حذو حذو هؤلاء واقتفاء سبيلهم.**"[22] لكن ذلك لم يمنع الجزائريين من نصرة كلمة الحق ولا من مساندتهم لإخوانهم وهم في عز الحرب التي كانت تشتعل لظاها في أرض الجزائر «**ولا نقول جديدا إذا ما سجّلنا أن الكثير من الشّعب الجزائري كانوا يمشون على الأقدام محاولين تخطّي هذه الحواجز، فمنهم من وصل ومنهم من تلقفته سجون الاستعمار ومعتقلاته بليبيا تحت الحكم الايطالي، أو في سجون تونس والجزائر تحت الاستعمار الفرنسي، قبل أن يصلوا إلى فلسطين**»[23].

[22]– العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، اتّحاد الكتاب العرب، الجزائر، 1999، ج 1 ،ص 20

[23]– عبد اللّه الركيبي، قضايّا عربيّة في الشعر الجزائري المعاصر، ص65.

وفي هذا المقطع من القصيدة يصوّرالشاعر "محمّد جريدي" فلسطين وكأنها أمّه، لكن من الواجب أن يكون الابن بارا بوالدته، فهو يعتذر لها ويطلب الصفح منها عن هذا العقوق الذي حال دون أن يلبّي نداء الأمة، نظرا للمعيقات والضغوطات التي كان يمارسها الاحتلال الفرنسي ضد الشعب الجزائري الأعزل في حين كانت أفواج المهاجرين من اليهود تتوافد إلى فلسطين من كل أصقاع العالم، وهو يعكس بهذه الكلمات الفيّاضة شعور كل الجزائريين الذين كانوا يحملون هذه القضية في قلوبهم، ولا يستطيعون نصرة قضيتهم في الميدان نظرا للحواجز التي فرضها الاستعمار، يقول:

فلسطين إني الابن والابن طائع *** فها أنا ذا أعصي فهل فيك غفران

فإنّ صدودي عن جناك جناية *** وإنّ قعودي عن فداك لعصيان

فلسطين لا تيأسي لعيبي فإنّني *** وإن غبتُ بالحرمان منك لا سيان

وإن فقدّت رجلي ركائب للفدى *** فليس للإحساس وشعري فقدان

فإنّ إذا رمينا لأرضك سفرة *** ويعارضنا بالمنع والرّدع طغيّان

وإن رام صهيون لغزوك هجرة *** تفتّح لهم من الجوّ والبرّ بيبان

فها هو إيماني فداك ونخوتي *** فماذا عسى يجد بهم فيك حرمان

وهمّك همي يا فلسطين فاصبري *** فإنّ اهتيّاج الموج تعنيه شطان

وليس لبحر الظّلم إلاّ شواطئ *** وليس لموج الظّلم بعدك طغيان [24].

وهناك شاعر آخر لابد من ذكر اسمه، وهو من المناصرين الأوائل لهذه القضية المباركة، ألا وهو شاعر الثّورة الجزائريّة، الشاعر "مفدي زكريا" الذي «**اعتبر العدوان على فلسطين اعتداء على العروبة كلّها، وضياع فلسطين مسؤوليّة العرب جميعا، لا الفلسطينيّين وحدهم، فقد باعوها، وانحدروا بها للهاويّة وهم في غمرة سكر، ففي الذّكرى الثّالثة عشر لتقسيم فلسطين كتب قصيدة شعريّة طويلة بعنوان "فلسطين على الصّليب" في شكل حوار بين الشّاعر وفلسطين والعرب**» [25].

[24]– صالح خرفي، الجزائر والأصالة الثّوريّة، ص51.

[25]– يحي الشّيخ صالح، شعر الثّورة عند مفدي زكريا، دراسة فنّية تحليليّة، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1987م، ص138.

وتعد الثورة بأبعادها التحرريّة مصدرا مهمّا لإبداع زكريّا الشعري، إذ يعد البعد الثوري في شعره ذو طابع نضالي واضح، وهنا نلاحظ تلك النبرة الحادة التي استشفّها الشاعر من الواقع المرير الذي آلت إليه فلسطين، مناديا إلى توحيد الصفوف من أجل لملمة جراح الأرض المباركة، يقول:

أناديك في الصرصر العاتيّة *** وبين فواصفها الذّارية

وأدعوك بين أزيز الوغي *** وبين جماجمها الجاثيّة

وأذكر جرحك في جزينا *** وفي ثورة المغرب القانية

فلسطين يا مهبط الانبيا *** ويا قبلة العرب الثّانية

ويا حجة الأرض في أرضه *** ويا هبة الأزل السّاميّة

فلسطين... والعرب في سكرة *** قد انحدروا بك للهاويّة! [26]

[26]– مفدي زكريا، اللّهب المقدّس، الشركة الوطنيّة، الجزائر، ط1، 1961م، ص336، 337.

ويواصل الشاعر في وصف آثار المأساة التي حلّت كالصاعقة، حين ضاعت فلسطين، وازداد العدو في غطرسته، واستباحته للتراب الفلسطيني، والتنكيل بأهله الصامدين «**فقد انقلبت الأوضاع وذلّ العزيز وعز الذّليل وأصبحت فلسطين تبكي، وما يبكيها إلاّ الذّين كانوا قد اتّخذوا حائطا يتباكون فيه ويستدرون عطف النّاس**» [27] يقول:

بكيت فلسطين في حائط *** به قبل قد كانت الباكيّة

فيا لك من معبد نجس *** حناياه بالسوءة الباديّة

ويا لك من قبلة كدسوا *** بمجر بها الجيف البالية

ويالك من حرم أمنٍ *** جياع ابن آوى بها عاوية [28].

زيادة على ذلك لم يسلم العرب المتخاذلون عن قضيتهم من هجاء مفدي زكريا السياسي وعلى رأسهم الأمراء والزعماء العرب والعملاء الذين رأى انغماسهم في ملذّاتهم الخاصة وتفرّق

[27]– يحي الشّيخ صالح، شعر الثّورة عند مفدي زكريّاء، ص139.

[28]– مفدي زكريا، اللّهب المقدّس، ص338.

كلمتهم، وعدم اكتراثهم بالقضايا الوطنية والقومية، سبب مباشر في بيع فلسطين والتخلّي عنها وتجاهلها، فسلقهم بألسنة حداد من خلال فضحهم وانتقاد تخاذلهم حين قال:

لقد كان لي سبب للبقاء فقطع قومي أسبابه

ورحت أباع وأشترى كما تباع لجزارها الماشيّه

وأشنق في حبل مستعمر وأصلب في كفّ جلاديه

وفرّقني (الخلف) أيدي سبأ وشتّت في الأرض أوصاليه

فأصبحت أرسف في محنتي وقومي –عن محنتي–لاهيّه

وفي سكرة ضيعوا عزّتي ولم يعن علي سلطانيّه

فلا أنا حقّقتها بيدي ولا سلح العرب أبنائيّه [29].

[29]– المصدر نفسه، ص342.

وهي قصيدة مطوّلة تضمّ تسعين بيتا، كانت الأبيات الأخيرة تحفيزية، مبشّرة بنصر قريب، لكن هذا النصر لا تقوم له قائمة إلا بتوحّد العرب على كلمة واحدة ووقوفهم وقفة رجل واحد أملا في تحقيق النصر الذي سيأتي لا محالة مهما طال الزمن، وهذا وعد من الله، يقول:

فإن تنصروا واللّه ينصركم وينجز أمانيكم الغاليّة

ولن يخلف اللّه ميعاده ولا ريب.... ساعتنا آتيّة. [30]

وقد ظهر أثر المأساة واضحا في شعر "مفدي زكريّا" بوصفها مأساة قومية جامعة، بعد استمرار تعنّت الاحتلال الصهيوني لفلسطين، وبشاعة فعل المحتّل، وتراكم معاناة الفلسطينيين حين نظّم قصيدته الموسومة ب "اللّه من سيناء كلّم يعربا –إلى فلسطين الذّبيحة"، وهي قصيدة من تسعة وأربعين بيتا، فيها رغبة واضحة من الشاعر في ترسيخ الفعل النضالي وتأصيل الاتجاه المقاوم في الضمير العربي، فخلف الفلسطيني من بني يعرب جند عربي ينتظر الإشارة للنفير، كان ذلك بنبرة غاضبة تكشف عن زيف المحتل وكذب دعواه ، وما

[30]– مفدي زكريا، اللّهب المقدّس، ص394.

يعيثه في الأرض من فساد، يدعوا فيها إلى بعث روح المقاومة مستحضرا نماذج من بطولات الأنبياء والصالحين، فالشاعر يستغل ما يكتنزه تاريخ الأمّة من طاقات مخزّنة في الذاكرة الجماعية، ليسقطها على التجربة الشعرية المعاصرة، يقول فيها:

صرخ الضّمير ورجت الأقدار وانقض من عدل السّماء قرار

وقضى الرّصاص تباركت كلماته ومضى القصاص.....

واللّه من (سيناء) كلم يعرب فتماوجت لندائه الأحرار

والنّار، في الوادي المقدّس ما انطفت يا قوم موسى بعد موسى النّار

والعار تغسله الدّماء الزّكيّة أمّا كسا شرف العروبة عار

يا قصّة الآباء، ليس بخالد في الكون شعب يكتسبه صغار

الموت أشرف من حياة تستبى في الرّقاب وتستباح ديار [31].

[31]– مفدي زكريّا، من وحي الأطلس، مطبعة الأنباء، المغرب، 1976م، ص34.

ويواصل الشاعر في عرض الصور المشينة التي ميّزت اليهود على مر العصور، تلك الصور القاتمة التي تثير الاشمئزاز في النفوس، وذلك بعرض الحقائق ورفض الظلم الواقع على الفلسطينيين في أرضهم، الذين أضحوا وكأنهم غرباء في موطنهم من خلال تدنيسها من قبل تلك الفئة التي كانت هائمة في الأرض، فوجب قتالهم والتصدي لهم، يقول في هذا الصدد:

ولتخسف الأرض الجريحة بالأولى لم يأوهم في العالمين قرار

لفظتهم الدّنيا، فجمع رجسهم كشهادة عن زور استعمار

ذهب الأصيل عن الدّخيل ضحيّة وأقيم دون اللاّجئين جدار

وغدت سماسرة الظلام تسومها ما شاءه التّجار والسّمار

وغدت فلسطين الذّبيحة دمنة في قدسها، تراكم الأقدار

وكأنّها بيد القوي بنادق، وكأن أقدار الشّعوب قمار

وكأن (مجلس أمنها) سخريّة مفضوحة وقرار استهتار

يا غضبة الأجيال صبي لعنة يصعق بها المستعمر الغدّار [32].

وفي ختام القصيدة أصبح خطاب الشاعر الثوري أكثر انفعالا وحدّة، ومصدر أفكاره تمتاز بصوتها المتفجّر، موّجها ندائه للعرب داعيا إيّاهم إلى توحيد الصفوف ورصّها، في مواجهة المستعمر الذي عاث بمقدسات الأرض المباركة فسادا، فهو لا يفقه إلاّ لغة السلاح، واللّحن الثوري لا يعرف إلاّ اللّون الأحمر، مستندا في ذلك إلى إرث كبير من النضال العربي والإسلامي في تصدّيهم لأعدائهم في معارك عدّة كبدر والقادسيّة ومعركة الجزائر التي طردت خلالها عدّوا عشعش في أرضها أكثر من مائة عام، كانت صرختها الأولى من الأطلس الجبّار، وغيرهم من معارك المسلمين، وهذه ميزة ميّزت أشعار مفدي زكريا الثوريّة، وغايته في ذلك هو شحن الهمم للنضال ورفع راية الجهاد من أجل استرداد الوطن السّليب الذي لا يزال يئن تحت وطأة المستعمر الظالم، يقول:

يا أيّها العرب الكرام فالأمر جد والحظوظ كبار

[32]– المصدر نفسه، ص43، 44.

واللّه أنجز وعده هل تنجزوا؟ وهل العدوّ أمامكم ينهار؟

سوقوا عصابات الضّباع فلم يكن يخشى الضّباع الضيغم الهصار؟

إن يسطّ ذئبهم ونحن جماعة إنا إذن في الأرذلين خسار

في القادسية خالد ناداكم ومن الحجاج محمّد المختار

ولواء سعد رف فوق جيوشنا فكأنّما هو جيشه الجرّار

ورعيل بدر صاح فينا بادروا إنّ الجهاد براعة وبدار

المغرب العربي أخلص للنداء فتعززت بجيوشه الأنصار

شعب تمرّس بالكفاح، فلم تنل منه السّنون ولا ثناه عثار.

صهرته معركة الفدا وعقيدة عربيّة والأطلس الجبار

أوراس علمت الجهاد أسودها وسما ببنزرت الفتى المغوار

هذي الجموع الزّاحفات طلائع فيها الجهاد عقيدة وشعار

قد أقسمت ألاّ تعود لدربها حتّى تعود لقدسها الأبرار

وترى فلسطين الذّبيحة حرّة لا يستبدّ بأمرها الأشرار

وجبين يعرب مشرق متوهّج وعليه من شرف البطولة غار. [33].

على غرار هؤلاء الشعراء الذين ذكرنا وجب أن نردف شاعرا آخر ألا وهو "صالح خرفي " هذا الذي كان يصدح في سماء الشعر مناصرا للقضية ومتغنّيا ببطولات المجاهدين، كيف لا وهو الذي يرى أن نصر الجزائر لا يكتمل إلا بنصر فلسطين، وتحرير الجزائر من أيدي المغتصبين ما هو إلا بداية النضال لتحرير فلسطين وكل الأرض العربية من الأنجاس الذين عاثوا فيها خرابا ، وأن الجرح العربي لن يهدأ إلا بالجهاد وحمل السلاح والمشاركة الفعلية في الحرب ضد العصابات الصهيونية البغيضة التي لا تفقه لغة السلام، فالقتال والاستشهاد هما المنطلق الصحيح لاستعادة الأرض وإعادة الاعتبار للعربي، هذا ما عبّر عنه الشاعر في قصيدة "العيد الجريح" التي ألقاها بدمشق في مهرجان الشعر الثاني عام (1960م)، يقول فيها:

[33]– مفدي زكريّاء، من وحي الأطلس، ص44، 45.

فكأنّي بابن الجزائر وفي شوطه في غد وأنهى المضافا

ثمّ ولى لمشرق الشّمس وجها ليلبي نداء (حيفا ويافا)

جيشنا جيشكم فما طار صوت عربي إلاّ وطرنا خفافا

جرحنا مثخّن ولكن سيعدو في سبيل الإخاء جرحا معافى

لن نطيق السّلام يوما وشبر عربي عن الكرى يتجافى[34].

وقد أكّد "صالح خرفي" في كتابه " "الأصالة الثورية" على الروابط القويّة التي تجمع بين الشعبين الجزائري والفلسطيني في قوله: «**وتعانقت الجزائر وفلسطين عناقا يستمدّ حرارته من حرارة الحرمان الذّي مني به الشّعبان، الجزائري والفلسطيني، فكانت الثّورة الجزائرية انطلاقا لكلّ هذه المشاعر الجريحة في فلسطين وفي الجزائر، وتلاقى الجزائري والفلسطيني في أكثر من نقطة في الوطن العربي، فكان لقاء الثّأر بالدّم المهدور لقاء الانتفاضة بالكرامة الجريحة، لقاء العودة للوطن الثّائر والوطن المتأهّب للثّورة، تلاقيّا على**

[34]– صالح خرفي، الجزائر والأصالة الثّوريّة، ص52.

قمم الأطلس وسفوحه، لقاء الثّورة الزّاحفة، ووضعت اليد في اليّد، وتنادت الآمال وتجاوبت الجروح."[35] هذه الروح النضالية التي كانت تندفع من ذات الشاعر كان أثرها واضحا في أشعاره باعتبار أنه عايش أحداث الثورة الجزائرية إضافة إلى معايشته للعشرية السوداء ومتابعته عن كثب مراحل سلب الأرض الفلسطينية، ومن خلال ذلك تتجلى هذه المشاعر كأحسن ما يكون التجلي في قصيدة "الجريح المتجاوب"، والتي أبدى من خلالها تفاعله مع القضية، فالجرح الفلسطيني هو نفسه الجرح الجزائري، ومأساة الفلسطيني هي مأساة الجزائري أيضا، يقول فيها:

يا أخي في خيام غزّة في قمّة شليا جروحنا تتنادى

نحن قربان مدلّج ينشد الفجر فكنا له منارا وزادا

رعشة الضّوء في سراجك يا صاح أضاءت له الرَّبى والوهادا

ومن الآهة الحزينة وافته من العز نغمة تتهادى

[35]_ صالح خرفي، الجزائر والأصالة الثوريّة، ص 52.

إنّنا نزرع الورود على الدّرب ونجني من الورود القتادا [36].

واستمر حضور القضيّة الفلسطينية في الشعر الجزائري جنبا إلى جنب مع القضية الجزائرية التي تبشّر بانتصارها على مغتصبها، فقد استطاع الشاعر أن يشبك القضيتين باعتبارهما قضيتين إنسانيتين، لذلك وجب التصدي لهذا العدو الغاشم بالبندقية لأنه عدو صهيوني امبريالي لا يحتوي قاموسه الحضاري إلا على ألفاظ الفتك والقتل والتشريد والتهجير، ولا يفقه إلا لغة النار والبارود، وقد أشار الشاعر إلى ذلك من خلال هذا المقطع والذي يرى فيه أن مصير الشعبين واحد، إمّا التحرر وإمّا حروبا من لظى تلتهب:

قد خلقنا أنا بقمّة (شليا) مستنيرا بفوهة ذات وقد

وبخط الهجوم أنت، خلقنا يا أخا الثّأر من هنا للتّحدّي

فاترك السّلم للوجود، وللنّار خطانا، فسلّمنا رفع بند

[36]– صالح خرفي ، أنت ليلاي، الشركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1974م، ص144.

يا فلسطين إن لمحت قتاما فاعرفي أنّني وفيت بوعدي [37].

ويجدر بنا في هذا الصدد أن نذكر الشاعر "أحمد سحنون" الذي طالما كان مساندا لهذه القضية، وباعتباره شاعرا فإنه صدى للجماهير الجزائرية ترجم آلامها وأمانيها، وصاغ انفعالاتها وتصوراتها تجاه القضية، فنظّم هذه القصيدة المعنونة ب "فلسطين" ردّا على التقسيم الجائر للأرض العربية الفلسطينية بين اليهود والفلسطينيين والذي كان بمؤامرة بريطانية جائرة، دعا من خلالها إخوانه في فلسطين إلى رفض هذا التقسيم والتّأهب للتصدّي لأعداء العروبة والإسلام، بهمّة عربية ترفض المخططات الاستعمارية يقول فيها:

فذاك العدى لا تقبلي قسمة العدى وللموت يسرى لا تبيتي على ذل

ولا تحلفي بالنّاس إن جار حكمهم عليك فإنّ اللّه يحكم بالعدل

[37]– صالح خرفي، الجزائر والأصالة الثّوريّة، ص53.

وخلفك جيش من بني العرب فاقتحموا الوغى ولا تدفعوا جد الحوادث بالهزل.

(38)

وفي ختام القصيدة وجّه الشاعر نداءه إلى أثرياء العرب، يطلب منهم مساندة القضية بما أمدهم الله من مال، كما دعا الشعراء العرب إلى الوقوف إلى جانب القضية ومناصرتها بالكلمة الشاعرة التي تحمل في طيّاتها أصوات العرب، باعتبار الشعر وسيلة للمقاومة وشحن الهمم للنّضال، كما أنه وسيلة فعّالة لتضييق الخناق على المستعمر بفضح مخططاته وجرائمه الشنيعة، يقول في هذا الصدد:

ويا أغنيّاء المسلمين تسابقوا إلى البذل والإيثار ذي ساعة البذل

ويا شعراء الضّاد حثّوا شعوبكم بشعر يداويها من الجبن والبخل

فما الشّعر إلاّ ثورة غير أنّها تصول بلا كف وتسعى بلا رجل. [39].

[38]– أحمد سحنون، الدّيوان، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1980م، ص128.

[39]–المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وفي قصيدة أخرى كان عنوانها "شباب محمّد" يحث فيها الشباب العربي ككل، إلى السعي للجهاد وإخراج المستعمر من الأرض المقدّسة التي باركها الله، فالنضال هو السبيل الأوحد والوحيد لاسترجاع فلسطين من أيدي الطغاة الذين وصفهم بالذباب، بعدما كانوا هائمين متفرقين ومشتتين في أنحاء العالم، فوجب عزف نغمة الرشاش وقتالهم لتطهير مقدسّات الإسلام من دنسهم، يقول في بعض أبياتها:

لقد شبت بأرض الشّرق نار لها في القبلة الأولى التهاب

وأنتم خير من خاضوا لظاها فكيف يروعكم هذا الذّباب

سيعد الموقدون لها وقودا و من رام الخراب له الخراب. [40]

أمّا الشاعر "الرّبيع بوشامة" والذي أخذت القضية الفلسطينية حيّزا هاما في نصوصه الشعرية الداعمة للثورة والنضال ضد الاحتلال الصهيوني الغاشم، فقد اعتبر قضيّة فلسطين قضيّة مقدّسة، وهذا ما صوّرته عدّة قصائد لهذا الشاعر الذي هاجم بدوره هذا التقسيم الجائر في حق

(40)–أحمد سحنون، الديوان،ص67.

الفلسطينيين، فخاطبهم بنبرة حادّة "**ووضعهم أمام أمرين لا ثالث لهما، إمّا أن يقاتلوا من أجل الشّرف والعزّة، وإمّا أن يتقبّلوا العيش الحقير، ويصرخ الشّاعر في وجه العرب الذّين يرضون بطمأنينة العيش، بينما فلسطين صارت قطعة من جحيم، ويدعوهم إلى نصرتها**" [41]، يقول في هذا الصدد:

أيّها العرب أمّة المجد والعلياء ماذا ترجون غير التّفاني

إنّه الموت في الكرامة والعزة أو العيش في الشّقا والهوان

كيف ترضون عيش أمن وخير وفلسطين في الجحيم تعاني

فانهضوا للفدا ولبوا سراعا داعي اللّه من سما الأكوان.[42]

[41]– الوناس شعباني، تطوّرات الشّعر الجزائري من سنة (1945م) حتّى سنة (1980م)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1983م، ص57.

[42]– أنظر القصيدة في البصائر، العدد: 35، 10 ماي ، 1948، ص 07.

أما في قصيدة "صوت الجهاد" التي فيها شحذ الهمم للنضال والذي يعتبر السبيل الوحيد لاسترجاع الأرض السليبة من أيدي المغتصبين اليهود، خاطب فيها الشباب العربي إلى النهوض والجهاد ضد الطغيان والاستبداد، يقول في هذا السياق:

فتى العرب هيّا فلب الندا ولاق المنايا بساح الفدا

فلسطين في النّار نهب العدا تنادي الجهاد الجهاد. [43]

وممّن صوّر واقع القضية الفلسطينية تصويرا فنيا، متغنّيا ببطولات الثوّار المناضلين والمناهضين للطغيان والاستبداد وداعيا إلى الثورة في وجه أعداء العروبة لأجل تطهير الأرض المقدّسة من دنس بني صهيون، الشّاعر "موسى الأحمدي"، الذي جاءت قصائده قوّية ومؤثرة، دعا فيها بني العرب إلى توحيد الصفوف والالتحام المتين بالأرض، وإخراج الطغاة المستبدين، يقول في قصيدة "فلسطين تناديكم للجهاد":

فلسطين نادتكم للجهاد فلبّوا النّدا يا حماة البلاد

(43)– عبد اللّه الركيبي، قضايا عربيّة في الشّعر الجزائري المعاصر، ص65.

وهبّوا جميعا سراعا إلى حمى يعرب وانفروا للطراد

ومدوا النّفوس إليها فدى فتلكم –بني العرب–أرض المعاد [44].

كما جاءت قصائد الشاعر " محمّد بوزيدي" مفعمة بالحس القومي، كشفت عنه الصور التي يميّزها التعبير الصادق وقوة الانتماء والالتزام بالقضية، إذ تحمل هذه الصور حالة تحفيز مستمر لفعل المقاومة حتى إخراج المحتل الغاشم، حيث يستغل الشاعر كل مناسبة لتأييدها والتغني ببطولات المجاهدين، كما فعل في قصيدته الموسومة ب"جيش العرب ينتصر" والتي تغنّى فيها مطوّلا بنصر المقاومين العرب، حيث" **ألقيت في الإذاعة الجزائريّة في بدء معركة جوان (1967م) وبعثت الجزائر فيالق وعتادا ضخما للمشاركة في المعركة، وألقى الرّئيس الجزائري "هواري بومدين" خطابا يحثّ فيه الجيوش العربيّة على مواصلة المعركة حتّى النّصر أو الاستشهاد** "[45]:

[44]–المرجع نفسه، ص99.

[45]– محمّد بوزيد، صوت الجزائر (ديوان شعر)، نشر المكتبة الوطنيّة الجزائريّة، 1997،الجزائر، ص105.

اللّه أكبر جيش العرب ينتصر على الطّغاة، وجيش الغدر يندحر

وقد أطلّت على (يافا) فيالقنا مثل العمالق، مثل الرّعد تتفجّر

للثّأر سارت مع الأحرار صاعقة للنّصر عاصفة تغزوا وتنتشر

يا فرحة حضرت للعرب عالية عشرون عاما وجيش العرب ينتظر

فاليوم موعدنا صهيون نحطّمها في تل أبيب وجيش الخصم يحتضر.

إنّ اختيار الشاعر لفعل المقاومة المسلحة واضح في شعره ويتجلّى ذلك في شحذه الهمم للنضال الذي يعتبر السبيل الوحيد لاسترجاع الأرض المسلوبة، ودعوة الشعب إلى تبني الفعل الثوري، ففي هذه القصيدة المفعمة بالحس الثوري والألفاظ الحماسية، والتي تظهر هادئة ولكنها لاذعة السياط، ينادي أمّة العرب إلى النهوض من الركود، بإعلانه لعالم جديد وعهد سعيد، بفعل الثورة والمكافحة، فالشاعر هنا يمثّل جزءا هاما من الثورة يسكنه جنونها وتضطرم في نفسه نارها التي لا تخبو إلا برؤيته للقدس محررة من أيدي الفاسدين المفسدين، يقول في قصيدة "الفلسطيني" التي يخاطب فيها اخوانه الفلسطينيين:

لا تودعني وقد حان الوداع واجب العرب ينادي للدّفاع

ألهب الميدان نارا تتلظى حرّر القدس وأقداس البقاع

لا تقل سالت دموعي خوف ثكل إنّما دمعي ينادي القدس ضاع

فإلى الميدان يا أغلى حبيب لا تفكّر في الثكالى والجياع

لم يعش في المجد من كان جبانا، إنّما المجد لمن بالرّوح باع.[46].

وفي قصيدة أخرى ألقاها في المؤتمر الثالث للطلبة الفلسطينيين في قصر الصنوبر بالجزائر، سنة (1974م)، والمعنونة "طعنه الغدر" يتفاخر بانتمائه لأرض القدس، هذه الأرض الطاهرة المباركة، التي تفوح فيها رائحة الأنبياء، تلك الرائحة الطاهرة الزكيّة، كما يخاطب فيها فلسطين، وهو بذلك يخاطب الفلسطينيين والعرب أجمعين ويحثّهم على ضرورة إعلان الحرب التي ستعاد من خلالها مقدّسات أرض عدنان المدنّسة، يقول في مطلعها:

في صميم البدء من غيب السّماء أنت وحي اللّه أرض الأنبياء.

[46]– محمّد بوزيدي، صوت الجزائر (ديوان شعر)، ص99.

ويقول أيضا:

أرض قدسي أرض عدنان، وإنّي من تراب القدس عظمى ودمائي

منك لحمي يا فلسطين وروحي أنا جزء منك يا أرض الضّياء

يا فلسطين أراك اليوم حربا وصمودا حول أقداس اللّواء.

ليتممها بقوله:

فابعثوها من جديد أرض عرب يسطع القدس بنور الأنبياء [47].

زيادة على هذه الإشارات الخاطفة لبعض النماذج التي جسّدت موقف الشاعر الجزائري المسكون بالقضيّة الفلسطينيّة باعتبارها رمزا للصمود وإرادة الحياة، والذي ما فتئ يناصرها ويشحذ الهمم للنضال لصالحها منذ بروز خيوط المأساة في العشرينات من القرن الماضي، حفلت الذاكرة الشعرية الجزائرية بشعراء كثر كانوا وظلّوا مساندين للقضية الفلسطينية لم يسعنا

[47]– محمد بوزيدي، صوت الجزائر، ص101، 102.

المقام لذكرهم، من أمثال: محمد أبو القاسم خمّار، أحمد الطيب معّاش، عمر البرناوي، عبد الكريم العقون، محمّد الأخضر السائحي وآخرون ...

فهذه جملة من القصائد القومية المستقات من الشعر الجزائري الذي رافق القضية الفلسطينية في جميع مراحلها، رصدناها تباعا منذ بدايات الجرح الفلسطيني الذي لم يندمل بعد، وكيف له أن يبرئ وآلة الحرب الصهيونية لازالت تحصد الكثير من الأبرياء الفلسطينيين ظلما وعدوانا، أثبت الشعراء الجزائريون من خلالها أنهم باقون على العهد، يناصرون ويساندون القضية من باب القومية العربية ومن باب تلك الأخوّة المتينة التي تربط الجزائري بفلسطين، حين أصبح الشعر سلاحا من أسلحة الحرب، داعين إلى رفع راية الجهاد في وجه عدو صهيوني جبان لا يعرف معنى السلم، بل كل ما يفقهه التّخفي من وراء سلاح يرفعه في وجه العزّل من أبناء الشعب الفلسطيني، فتصدّوا له بالكلمة الحرّة التي تحمل في طيّاتها أصوات كل الشعب الجزائري من أجل مواجهة المغتصبين والحرص على الثّورة ضدّهم، وكانوا يؤمنون بعدالة القضيّة الفلسطينيّة، كما عبّروا عن شعورهم تجاه هذه القضيّة التي يعتبرونها قضيّتهم،

وكل أشكال الظلم التي عاناها الشّعب الفلسطيني من مصائب وبطش الاستعمار وجبروت الصّهاينة كانت صورا متجلّية في أشعارهم التي اتّخذت سبيلا للتّعبير عن مواقفهم بكلّ حرارة وصدق وعاطفة، وجعلوها سجّلا أمينا لأحداث الأمّة، معبّرين عن آلامها وآمالها، منذ الوعي بالواقع البائس الذي آلت إليه، مدركين تمام الادراك مسؤوليتهم في تغيير الواقع الأليم، ومتيقنين من الواجب القومي والإنساني الذي يجب على الشاعر أن يوصله بكلمته التي يعلم علما يقينا أنها رصاص يتطاير في وجه العدو المغتصب الجبان الذي جاء ليدنّس مهبط الأنبياء.

المبحث الثاني: تجليات القضيّة الفلسطينية في الشعر التونسي

سكنت القضية الفلسطينية أفئدة التونسيون كغيرهم من بني العرب، باعتبارها قضية قومية وعقائدية، لا تبرح خواطر من يحمل الهمّ العربي، على الرغم من تباعد الأوطان، لكن قلوب التونسيين متقاربة بل وممتزجة مع إخوانهم الفلسطينيين، تتألم لمصاب فلسطين الجريحة، التي تعرّضت لاغتصاب اليهود الصهاينة، فعاش الشعب التونسي كغيره من العرب القضية والواقع المرير الذي آلت إليه، بعدما أضاعها العرب بغفوة منهم، وبتصديقهم لمؤامرات اليهود الخادعة.

تقدّمت الإشارة إلى أن الشعر المغاربي الحديث والمعاصر واكب مراحل القضية الفلسطينية منذ بدايات الجرح الفلسطيني، إذ كانت تمثّل انتماء حضاريا وقوميا ورمزا للثورة والمقاومة، فكان الشاعر المغاربي من المنابر الدّاعمة للقضية يتألم لألم اخوانه في فلسطين، ويتحسّر على ضياع الأرض العربية على يد حثالة البشرية، ويتأسّف على الحال التي آلت إليها فلسطين، فوصف معاناة المهاجرين واللاجئين في الخيام، كما أنه تغنّى ببطولات

المقاومين في ساحات الحرب، ودعا العرب إلى التّأهب والنضال لاستئصال الجرثومة التي استوطنت جسد الأمّة العربية والإسلامية، والحال كذلك لدى الشعراء التونسيين الذين عاشوا القضية بجوارحهم، والشعر في تونس حمل نفس الرسالة، وأدّى نفس الأمانة.

تناول الشعراء التونسيون القضية الفلسطينية، وخاضوا فيها من زاوية الحفاظ على الوجود الأساسي للقومية العربية، وبالتالي فإنّه يشكل وجود ذلك الإنسان الذي يتصل بالأمة وأرضها وتراثها وتاريخها، ولقد صمدت المقاومة الفكرية في تونس، لدعم المقاومة الفلسطينية المسلّحة بالكلمة الحرّة التي تعبّر عن ارتباط الشعراء التونسيون بالقضية الفلسطينية، فوقف الشاعر " منور صمادح" رافعا من معنويات الشعب مؤكدا إرادة الأمّة العربية في النصر، بعد أن بدأت المنظمات الفدائية عملياتها في الأرض المحتلة، يقول:

في أرض حيفا والخليل مروءة هدرت ولم يدركوا العرب الصباح

إن كان حيّ على الفلاح شعارنا فالقدس نادانا: فحيّ على السلاح. [48]

وهذا الشاعر "نور الدين حمّود" يحثّ العرب على ضرورة وحدة الصّف، وهو لا يريد أن تكون هذه الوحدة مجرّد حبر على ورق، يتغنّى بها الشعراء في قصائدهم، أو مجرّد كلام عابر لا يمت للوضع العربي بصلة، وفي أرض الواقع نجد جرح الفلسطيني ينزف دما، والعرب مشتتين متفرقين، سادرون في خلافاتهم الشخصية، وفلسطين لازالت تنهشها الصهيونية العالمية، بل يريدها وحدة فعليّة، توقظ القلوب والضمائر، لابد من تطبيقها على الواقع بتكاتف الجهود بين أبناء الشعب العربي، فدعا العرب إلى لم الشمل من جديد والنّفير إلى فلسطين للجهاد واسترجاعها من أيدي الطغاة، فالثورة ضد الاستعمار والنضال هما السبيلين الأوحدين لاسترجاع الأرض السليبة، يقول في هذا الصدد:

وننادي بوحدة العرب لكن *** بعد ما نملأ الدروب اتّزانا

[48]) _ منور صمادح، نسر ونصر، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1962، ص 30

إن أردنا للعرب وحدة صف *** فلنوقد قلوبنا وهوانا

ما ترانا نقول شعرا بديعا *** وفلسطين تطلب النيرانا

ولنسر للجهاد صفّا عتيدا *** فكفانا من الكلام كفانا. [49]

ذكرنا فيما سبق أن النكسة كان وقعها حادّا على الانسان العربي، الذي استفاق على واقع مرير ألقى به في غياهب الضياع والقهر، فأفرزت نكسة جوان أدبا كئيبا وحزينا، وكثر في تلك الفترة شعر البكاء والعويل، ولعلّها "**هي السبب في القفزة النوعية التي حدثت للإبداع العربي بصفة عامّة، والتونسي بصفة خاصّة، إذ مثّل قيما جديدة انتصر فيها المهمّش والمؤنث والمهمل وأسّس لخطاب ابداعي جديد متطبّعا بطابع إنساني له سمات النسق المفتوح على عناصر الحرية الإنسانية.**" [50]

49) _ نور الدين حمّود، ديوان رحلة العبير، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1979، ص 17.

[50])_ شادية شقروش ،خطاب الحداثة في الشعر التونسي المعاصر، دار إشراق للنشر، ط1، تونس، 2009، ص 5.

لذلك نجد أن القصائد التي تلت النكسة جاءت مفعمة بالحسّ الثّوري، تدعو لتجاوز كل تلك العقبات التي أحدثت انكسارا للأمّة العربية، كما أنها أحدثت ثورة في الكتابة الإبداعية ونخص بالذكر في هذا الصدد الجانب الشعري الذي حاول منتجوه النهوض بالفكر العربي من جديد، لأن الهزيمة لم تكن عسكرية فحسب، بل كانت حضارية كذلك.

وبعد أسبوعين من الهزيمة ها هو الشاعر " الميداني صالح" يرسلها مخاطبا زعيم اليهود " موشى ديان" أن المعركة لم تحسم بعد، وأن الظلم والخذلان لا يمكن لهما أن يمارسا على العربي المعروف بمروءته وشهامته منذ القدم، فلا بدّ للاجئ من يوم أن يعود إلى أرضه، يقول:

إيه يا" ديان" مهلا ...

نحن شعب ما خلقنا للسجود...

نحن لا نقبل يا سفاح ذلاّ وقيود

فسل التاريخ عنّا...

منذ أن كان زمان ومكان ووجود...

أرضنا والنّار، والذرّة لا بدّ تعود...

ونعود. (51)

هذه المفاهيم الثورية التي ترّسخت لدى المبدع العربي بعد الهزيمة، وصل صداها الشعر التونسي ونلمح ذلك جليّا في كتابات الشاعر التونسي "عامر بوترعة" الذي جاءت قصائده مفعمة بالحس الثوري والنضالي، رافضة لذلك التكبيل الذي طال الانسان العربي وفكره خلال الفترة التي سبقت الهزيمة ف"**إذا كانت كل كتابة إبداعية اليوم تمثل مشروعا حضاريا يسأل الحاضر ويستشرف المستقبل مع الوعي بتقاسيم الماضي ورواسبه، فإن مشروع الكتابة الشعرية عند " عامر بوترعة" يحمل همّ الوطن والأمّة العربية برمّتها،**

[1])_ مؤتمر الأدباء العاشر ومهرجان الشعر الثاني (بحوث ومقالات وقصائد)ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 231.

لتصبح المعادلة من قبيل رجل في أمّة وأمّة في رجل وتختزل في: فرد في صيغ الجمع، فينتقل الشعر من ترف النخبة الكسلى إلى رحاب الجماهير الفاعلة بفكر مثقفيها الملتزمين."[52] وبذلك يعد الشاعر "عامر بوترعة" من الشعراء التونسيين الذين جعلوا من قصائدهم منبرا للحريّة، يصوّر فيها ذلك الشعور الغائر بالظلم، والاحساس العنيف بالقهر الذي ولّدته المأساة في نفسه وفي نفس أي عربي عايش الهزيمة، فعكس في شعره بعدا مقاوما كشفت عنه الكلمة الثورية التي سطّرها في قصائده المناهضة للاحتلال والصهيونية وتهويد الأرض العربية، وجعل من الشعر سلاحا من أسلحة المعركة من بين أدخنة الحروب المهلكة التي مسّت أفئدة الأبرياء.

يوجّه الشاعر من خلال القصيدة الموالية سخطه ويصبّ جمّ غضبه على أصحاب القرار الذين هووا بفلسطين للهاوية، وشغلتهم قضاياهم الداخلية على قضية الأمّة الأولى، ولعلّ نقده اللّاذع وهجاءه القاسي يمثّل علاجا للذّات العربية وتطهيرا وبعثا لها لكي تقوم

[2])_ شادية شقروش ،خطاب الحداثة في الشعر التونسي المعاصر، ص 99.

بواجبها تجاه الأمّة، ففي الوقت الذي تحارب فيه فلسطين غزاتها، نجد أصحاب السموّ يكتفون بإطلاق التصريحات المندّدة، راضين بالحال التي آلت إليها فلسطين، مقتنعين بكل وسائل العدو القمعية، لكن رغم كل هذه المعيقات فإن فلسطين سوف تصمد صمود الجبال وتنتصر في الأخير على عدوّيها، بتجاوزها لدلالة الضعف والانهزام إلى الصمود، يقول في قصيدة له:

يشنّ العدوّ حروب الجحيم علينا

وهم في النعيم

يشنّون حربا من الكلمات

(...)

صارت فلسطين مثل التجارة

لأن الكبار

يظنون أن الحروب اجتماع

وبرقيّة

تنتمي لجيل الصمود انتصاره. (53)

أمّا في المقطع الموالي يصوّر الشاعر، حالة الركود والجمود والجبن التي طالت الانسان العربي في الفترة الحديثة، مستحضرا تجارب نضالية مقاومة خطّت بتجربتها سطورا مضيئة في تاريخ النضال العربي والإسلامي كخالد بن الوليد وعمر بن الخطاب، وهو يتلمّس في ذلك خطى الأمة ويبحث فيها عن هويتها المستلبة ونهجها البطولي، مصوّرا لحالة الضياع التي تحياها الأمّة، محاولا في ذلك بعث الروح من جديد، في ظل الوضع المخزي الذي آلت إليه، والعدو يستلب الأراضي وينتهك الأعراض في ظل صمت عربي راض بالحال التي آلت إليه الأمة العربية، يقول:

53) _ شادية شقرون، خطاب الحداثة في الشعر التونسي المعاصر، ص 102.

خيولنا مذبوحة

لا خالد يأتي ولا عمر

سيوفنا مكسورة

حوافر الخيل التي نعرفها

ليس لها أثر

ينتهكون أرضنا

ويعرقون أرضنا

ونحن في جمورنا

ننتظر القدر. (54)

54)_ شادية شقروش، خطاب الحداثة في الشعر التونسي المعاصر، ص 103

وكأنّ الهزيمة أحدثت شللا كاملا في الجسم والفكر العربي، فأصبح الانسان العربي غير قادر على مجابهة الواقع بكل ما فيه من قضايا وتحديّات، وما ترسّب اثر ذلك من انحطاط فكري وانسحاق اجتماعي، فكانت الهزيمة أهم مناسبة للنقد الذاتي العنيف والتّعرية والفضح، برفض الشاعر لهذا الفكر الذي أدّى الى استلاب الأرض واستباحة الدماء، بعدما كان الرعيل الأول من المسلمين الذين حاربوا العدو قادة للأمم في تلك العصور البهيّة التي تحسّر عليها الشاعر، فانفعال الشاعر انعكاس واضح لمعاناة الاحتلال التي أحالت فكره إلى جذوة لهب استدعت ما كانت تختزنه الأمة من صور مشرقة للأمة العربية التي كانت ة للاستكانة، ذلك فقد جعل " عامر بوترعة" " **السياق التاريخي والسياسي أداة تحليلية للوقوف وقفة تأملية ثم التمكن من رؤية الذات ورصد الظواهر في هذا الخضم من الاغتراب.**"[55] هذا ما عبّر عنه الشاعر في هذا المقطع من القصيدة التي تحمل شحنة ضخمة من الغضب، يقول:

1)_ محمّد الهاشمي بلوزة: السؤال والصدى: دراسة في الشعر التونسي الحديث، الدار التونسية للنشر، تونس،1992، ص 37.

نحن ملومين في أصدافنا

لا نخرج الرؤوس رغم سالف المطر

من المحيط إلى الخليج أمة

كانت تقود كامل الأمم

اليوم صارت في انتظار رحمة

من مجلس الأمم

أحلامنا زائمة

واقعنا عدم. (56)

عكس "عامر بوترعة" في أشعاره بعدا مقاوما كشفت عنه صور الصمود في وجه المحتل، فمهمته واضحة في بعث روح النضال وتأصيل أركانه، وفي رفع شعار التحدّي

2)_ شادية شقرون، خطاب الحداثة في الشعر التونسي المعاصر، ص 104

والصمود في وجه العدو، ومن بين وسائل النضال التي أرعبت العدو حجارة الأطفال الفلسطينيين، هذا الجيل الذي لم تخلص براءته ونقاوته من شوائب الجيل المهزوم، حجارة كانت حمما بركانية تتطاير شظاياها في وجه جنود جبناء كل ما يعرفونه التخفي وراء مركبة عسكرية خوفا من رشقات الحجارة المتطايرة التي تصب على رؤوسهم كالسيل العارم، ممّا جعل الشاعر يتغنى بهؤلاء الأبطال بجعلهم رمزا للصمود وصنعهم للثورة من العدم، فلقبهم بالفرسان وتغنّى ببطولتهم وبسالتهم، تأكيدا منه لمعنى الجهاد والإرادة الإنسانية في درء الخطر وتطهير الأرض العربية المقدّسة، حين قال:

إلى الحاء: حامية

ومن ورائها الجيم: جارحة

ومن ورائها الألف: أتونا

ومن ورائها الراء: راجمة

ومن ورائها التاء: تمحق

ومن ورائها أطفال الحجارة

فرسان يمتطون صهوة الصمود

ويمدّون العنان نحو السماء. (57)

فالحجارة بالنسبة للفلسطينيين عبارة عن أداة للدفاع، يعبّرون بها عن رفضهم لوجود ذلك العدو الغاشم على أرضهم، أداة جعلها الشاعر تنتمي إلى لوازمهم الدراسية في المكتبات، وهي من أروع الأدوات، يقول في هذه الأبيات النابضة بالغضب المتوثّب من حس وقّاد:

إذا ما دخلتم إلى المكتبات

إذا ما أخذتم لوازمكم

57)_ شادية شقروش، خطاب الحداثة في الشعر التونسي المعاصر، ص 100، 101.

من كتاب ومقلمة وأدوات

أضيفوا إلى القائمة

بأن لنا دولة قائمة

برغم سماسرة القوم

رغم العزاه

إذا ما دخلتم إلى المكتبات

مع الأدوات اطلبوا حجرا

وخذوا حجرا فهو من أروع الأدوات. (58)

فالمقاومة الأنجع والأنجح حسب الشاعر هي تلك المقاومة التي صنعتها أيادي

الأطفال البريئة بحجارتهم، بجعلها عنوان وجود الفلسطيني على أرضه المغتصبة، باعتبار

58)_ شادية شقروش، خطاب الحداثة في الشعر التونسي المعاصر، ص 102.

أن النخوة العربية بقيت ترصف في الجوار، ولم يبق ما يحفظ ماء الوجه سوى أطفال الحجارة، الذين خطوا بحجارتهم سطورا مضيئة في تاريخ المقاومة الفلسطينية، يقول في هذا الصدد:

أقلامنا جفّت

ولم يبقى سوى

ما يكتب الأطفال بالحجر. (59)

وفي قصيدة:" عمر... العاشق الصغير" يستحضر الشاعر أبيات لعمر بن أبي ربيعة الذي كان مفتونا بجماله ومغرورا بعشق النساء له، فإذا كان عمر بن ربيعة مولعا بعشق النساء فإن عمر الصغير الذي استحضر قصته" عامر بوترعة" متيّما بجمع الحجارة ورجمها على العدو، ومولعا بعشق الوطن فهو من أطفال الحجارة استشهد في القدس حين كان

59) _ ينظر شادية شقروش، خطاب الحداثة في الشعر التونسي المعاصر، ص 104.

يؤدي واجبه في رشق العدو بالحجارة، فعمر الأول يعشق الذات فهو فرد في جماعة و"عمر" الثاني يعشق الحجر ليحرر الوطن فهو فرد في صيغة الجمع، يقول "عمر بن ربيعة": (60)

بينما يذكرنني أبصرنني *** دون قيد الميل يعدو بي الأغر

قالت الكبرى أتعرفن الفتى *** قالت الوسطى، نعم هذا عمر

قالت الوسطى وقد تيّمتها *** قد عرفناه ... وهل يخفى القمر

ففي هذه الأبيات التي تغنّى فيها عمر بن ربيعة بنفسه، متباه فيها بإعجاب الفتيات له لما يملكه من وسامة جذّابه، جعل الشاعر يسقط ذلك الدور على عمر آخر وعلى وسامة وجمال من نوع آخر، إنه عمر المقاوم، البطل، الفارس، المغوار، عاشق الحجارة، مرعب العدو، صانع الثورة، فاتن الفتيات بهذا الدور البطولي، يصوره الشاعر في ساحة المعركة كاللّهب المقدس، غير آبه بأي خطر يحدق به، بل كل ما يعرفه هو مجابهة عدو غاشم

60) _ المرجع نفسه، ص 105.

مسلّح بصدر عار وبالحجارة التي كان يجمعها صباحا ليمارس بطولته في المساء ويستشهد

بنيران العدو ليزف إلى الجنان، يقول الشاعر في هذا الصدد متحدثا على لسان عمر:

بينما يذكرنني

أبصرنني

دون قيد الميل

أعدو منتصر

كنت مسكونا

بأشواقي لأفراح الخطر كنت مدعوّا لحفل الدم

دقّت مثلما الأجراس

أنغام الممات المنتظرة

... بينما يذكرنني أبصرنني

كنت أعدو

كان قدماي دخان وشرر

وربيع منتظر

قالت الكبرى

أتعرفن الفتى؟

قالت الوسطى: نعم

هذا الذي نحن رأيناه صباحا

يجمع الأحجار أكداسا

كما يغرق بحار

بعمق البحر في جمع الدرر

ورأيناه مساء راكضا من حيّنا

نحو محطات القمر

قالت الصغرى وقد تيّمتها

قد عرفاه

وهل يخفى الذي علمنا عشق الحجر. (61)

ولعل البعد الثوري في شعر" عامر بوترعة " ذو طابع نضالي واضح ويتضح ذلك في انبهاره بأطفال الحجارة ممّا جعله يتغنّى ببسالتهم في أكثر من موضع، راسما من بطولاتهم معالم ثورة قادمة، تدحر المعتدي وتعيد الاعتبار لأصحاب الأرض، مبرزا في ذلك فعل المقاومة بالحجارة، إذ أن صور الحجارة وحامليها من الأطفال راسخة لدى الشاعر، والطفل الفلسطيني حسبه يمثّل نموذجا حيّا للمقاومة الفلسطينية، وهؤلاء الأطفال الذين تركوا وراءهم

61) _ شادية شقروش، الحداثة في الشعر التونسي المعاصر، ص 106، 107.

كل تلك التنديدات والبرقيات الصادرة من صنّاع القرار الذين كان لهم الفضل الكبير في بيع قدس العروبة إلى شرذمة من اليهود لم تعد تسمن ولا تغني من جوع، ولم يعد الفلسطيني يأبه لها ولا لمكائدهم، لأن الكيل قد طفح، فما يهم الفلسطيني هو تحريره لأرضه من أيدي الطغاة بسواعد أطفاله وحجارتهم الذين أبوا إلاّ أن يصنعوا النصر بأنفسهم بتجاوزهم لدلالة الضعف والانهزام إلى الصمود والمقاومة، فشبّههم الشاعر بأنبياء هذا الزمن الذين جاءوا لكي يطمسوا مبادئ الكبار التي أدّت إلى الهزيمة، يقول:

تركوا رماد الأرض

وانطلقوا شرارة

وتهاطلوا نارا على الأعداء

وانفجروا جحيما

حول سرّاق الحضارة

كسروا سدود الظلم

والرجعية العرجاء

جيلا رافضا ابدا كباره

من أبدوا كالحمل أمريكا

وكالذئب العنيد يسمسرون

ويعرضون القدس

أجزاء بأسواق التجارة

ركبوا الصعاب

وصارعوا أهوالها

جاءت رسالتهم إلى الدنيا بشارة

هم حولوا أوضاعنا

لا فرق بين الأنبياء

وبين أطفال الحجارة. (62)

هذه الشحنات من الغضب الصادرة من الشاعر "عامر بوترعة" جعله في الوقت نفسه يقاوم أسباب الضعف التي حلّت بالأمة بتجاوزه لانكسارات الواقع نحو أبعاد تحررية خصبة، وابرازه لنغمة الخطاب الثوري، وضرورة استرجاع الوطن المحتل لا بفنون الخطابة التي نعرفها جميعا، بل في الميدان وعلى الأرض، يقول في هذا الصدد:

فقم نبني الوطن

****

لا بالخطابة

62)_ شادية شقروش، الحداثة في الشعر التونسي المعاصر، ص 108، 109

والتقارير الطويلة

(...)

ما عادت الأوراق تعني أيّ شيء

لم تعد فينا تؤثر قائمة. (63)

فبذلك نخلص إلى القول أن القضية الفلسطينية شكلت محورا مهما في الشعر التونسي وفي شعر "عامر بوترعة" على وجه الخصوص، فمهمة الشاعر بيّنة في ترسيخ روح الصمود والتمسّك بالتراب الفلسطيني، إذ يرسم صورة واضحة المعالم للشخصية الفلسطينية المستنيرة والمقاومة، وبعثه لروح المقاومة وتأصيل أركانها في النفوس بنبرة غاضبة تكشف عن زيف المحتل وكذب دعواه، كما أن انبهاره بأطفال الحجارة جعله يتغنّى مطوّلا بهم باعتبارهم يمثلون في وجدانه شرارة الثورة ومنطلق التحرير فمجّد بسالتهم

63)_شادية شقرون، الحداثة في الشعر التونسي المعاصر، ص 107.

ممّا أكسب شعره دفقا وجدانيّا خاصّا، يصدر عن رغبة واضحة تشكّل مرتكزا وبطولاتهم،

مهمّا لفعله النضالي الذي يسمو بالتّضحية والفداء.

المبحث الثالث: تجليات القضية الفلسطينية في الشعر المغربي

سكنت القضية الفلسطينية وجدان الشعب المغربي منذ بروز الخيوط الأولى للمأساة في العشرينات من القرن الماضي، باعتبارها أهم القضايا العربية منذ تلك الفترة وإلى وقتنا الراهن، وباعتبارها قضية قومية ودينية ساكنة في كل قلب مغربي لا يرضى بالقهر الصهيوني للحرية الفلسطينية، وقيل أن الحاج المغربي في فترة من الزمن لا يعتبر أن حجّه قد كمل إلا إذا كان متبوعا بزيارة القدس الشريف ومدينة الخليل المباركة الفلسطينيين، وبذلك يكون قد حجّ وقدّس وخلّل، فرغم بعد المسافة الجغرافية لكن قلوب المغاربة ملتحمة مع إخوانهم في فلسطين، تتألم لألمهم وتتحسّر على ضياع الأرض الشريفة والعرب سادرون في خلافاتهم الداخلية.

نالت القضيّة الفلسطينية في المغرب الأقصى حظا وفيرا في الجانب الأدبي والشعري منه ، وهذا أمر طبيعي أن تنعكس القضية على الأدب العربي والمغربي على وجه الخصوص ولا سيما الشعر الذي رسم ملامح المأساة والتمزّق الذي عرفته الأمّة منذ حلول الهزيمة وجسّد نبض ضميرها، فشكّلت قضية فلسطين الدامية بعدا مهمّا في الشعر المغربي

الحديث والمعاصر، وهو ارتباط ضارب في التاريخ، ساندها وظل يساندها وينصرها منذ بروزها على الساحة العالمية، باعتبارها قضيّة مقدّسة وجب على الشعراء الوقوف بجانبها بالكلمة الحرّة التي تحمل بين ثناياها موقف كل المغاربة تجاه القضية.

شكّلت القضية الفلسطينية محور اهتمام الشعراء في الابداع الشعري العربي بوجه عام، والملاحظ أن الشعر المغربي الحديث والمعاصر احتفى بقضية فلسطين أكثر ممّا احتفت به تعبيرات أخرى، وربما يعود ذلك إلى طبيعة الشعر وقدرته على التعبير الغنائي والمجازي عن القضايا الدراميّة التي تثير مشاعر الناس وتمسّ دواخلهم، وبالتالي فإن معظم الشعراء الذين عرضوا للقضية أو تناولوها في قصائدهم منذ أواخر القرن التاسع عشر، وإلى حدود سبعينيات القرن العشريين كانوا يشيرون إليها في غالب الأحيان ضمن مناخ ديني خالص مشوب بأبعاد وطنية يلتقي فيها الوطني بالعربي، أي أنها لم تكن مقصودة لذاتها ويجد ذلك تفسيره في الرمزية الدينية التي تنطوي عليها فلسطين الذي تحوي القدس الشريف في الوجدان العربي والإسلامي.[1] فالذي يطالع النتاج الشعري المغربي في الفترة الحديثة وما

1) _ ينظر مصطفى النحّال، حضور القدس ورمزيّتها في الأدب المغربي الحديث، جريدة الاتّحاد الاشتراكي

تلاها يجد هذه القضايا الوطنية والقومية التي تمشي جنبا إلى جنب في دواوين الشعراء، إبّان فترة الاحتلال الفرنسي الغاشم، وإلى فترة الاستقلال واستكمال التحرّر والمنادات بالانعتاق والنهوض بالأمّة العربية، فالجرح جرحين، على الرغم من أن الاستعراض الشعري للمأساة في بداياتها أي منذ بروز أولى خيوطها كان استعراضا محدودا فقلّما نجد أشعارا خصّصت للقضية بحد ذاتها "**غير أن هذه الومضات تفصح ولو من وراء حجاب، عن هم الأمّة الأول، هم فلسطين، حتى وإن لم يذكرها اسما، فعلى سبيل المثال يقول الشاعر محمّد الحلوي" متحسّرا على واقع الأمّة المهزوم:**"[1]

يا سيوف الإسلام قد صدئ الغم د وكدنا ننسى صليل السلاح

هل ترى العرب خالدا أو صلاحا أم مضى عهد خالد وصلاح

ومع بروز المأساة بنكبة فلسطين التي أصابت الكيان العربي بهزّة عنيفة، وعصفت به من جذوره، بوصفها نكبة قومية جامعة، غنّت لفلسطين آلاف الحناجر وتخضّب الشعر

(19/05/2019) www. Alittihad.Info

[2])-حسن الأمراني، فلسطين في الشعر المغربي، مؤسسة القدس للثقافة والتراثwww.Alquedslana.com (19/05/2019)

بالعذابات، حين بدأت الأقلام الأدبية وقرائح الشعراء تستنكر تلك الأعمال الشنيعة التي أدّت إلى اغتصاب الأرض وإقامة عصابة البغي الحقودة الجائرة في الأرض الطاهرة، فواكب الشعر مراحل القضية بشعر غزير وتعالت أصوات الشعراء في المغرب الأقصى تنادي بوحدة قومية تعيد لهذه الأمّة الممزّقة عصورها الزهيّة، و تعالت صيحاتهم الغاضبة تنادي للنضال واسترجاع الأرض المقدّسة من أيدي الطغاة، لما في ذلك من دور الشعر في اذكاء روح الثورة وتعبئة النفوس بالحماس والاشادة بالمقاومة للمطالبة بحق الشعب في حريته، فقد شاركوا بشعرهم في كافة حروب الاستنزاف العربية الإسرائيلية، وشاركوا بصرخاتهم الغاضبة والمنددة في المقاومة ضد الصهاينة، متخذين بذلك موقفهم من القضية بكل وعي.

وعى شعراء المغرب حجم الفاجعة التي حلّت في تلك القطعة من الوطن العربي، فشكّلت فلسطين محورا بارزا من محاور القصيدة المغاربية الحديثة، وحظيت القضية الفلسطينية بنتاج شعري غزير، كما هو الحال في أشعار شاعر الوطنية " علال الفاسي" الذي يصرخ منددا ومتعجبا من إعطاء وعد من لا يملك لمن لا يستحق فيقول:

ما وعد بلفور بمعط عصبة

مجلوبة حقا لها لم يثبت

هل كان يملك أرضنا بلفور حتى

يستبح مقايضات الصفقة؟ [1]

تعدّ الثورة بأبعادها التحررية مصدر إبداع " علال الفاسي" الشعري، ونستخلص ذلك من نبراته الغاضبة وصرخاته المدوّية التي تنبض بالصمود في وجه الأعداء بعدما حلّت الفاجعة وبعدما سلبت الأرض ونهبت خيراتها من طرف المعتدين، يدعوا فيها أبناء الأمّة إلى تجاوز هذه المرحلة من السّلب ورسم معالم مرحلة جديدة، تتطلب التضحية والفداء من أجل استرجاع الأرض بهمّة قويّة:

لا النكبة العظمى ولا ما جرا

بمبيدة أمل الحياة الحرة

عهد علينا أن نصون كياننا

1)_ نكبة فلسطين في الشعر المغربي الحديث، دعوة الحق، العددان 111 /112 www.habous.gov.com (20/05/2019)

ونرد عنا عار تلك النكبة

ولئن بدا العادون في حلفائهم

أقوى فأقوى من عراهم همّتي

لا ضير أن سلبوا بلادي حقبة. [1]

وفي ختام القصيدة وجّه الشاعر خطابه اللّاذع بصرخات استغاثة غاضبة لأبناء الأمة العربية والإسلامية، يتحسّر فيها على الحال المريرة التي آلت إليها المقدسات الاسلامية في أرض فلسطين الطاهرة، بما عاث فيها بنو صهيون من فساد وخراب وتدنيس، فدعاهم إلى مواجهة سياسة التهويد، وسلب الحقوق التي ينتهجها الاحتلال الصهيوني في حق الفلسطينيين ومقدّساتهم، ممّا جعل صوت الشاعر يعلو فوق صوت المحتل حين عمد إلى خلق روح المقاومة في النفوس وذلك بدعوته إلى حمل السلاح والنفير إلى فلسطين للجهاد واسترجاع الأرض المقدّسة من أيدي الطغاة، وتجاوز هذه المرحلة من الانكسار التي وصفها

2) _ المرجع نفسه.

بالخيال العابر والذي ما يلبث إلا أن ينجلي، إذا نفضت الأمّه عنها غبار الحزن والتمزق

وهبّت لنصرة الوطن السليب يقول في هذه الأبيات:

إيه بني الإسلام في أرجائه

وبني العروبة والنفوس البرّة

هاذي فلسطين تنادي نصركم

والقدس تنشدكم عهود الملّة

والمسجد الأقصى ومسرى أحمد

والقبلة الأولى وصنو الكعبة

بيد الصهاينة الذين تحالفوا

أن يرجعوه لهيكل الوثنية

ومساجد الجبهات من أبطالنا

أضحت مواطئ نعلهم–يا حسرتي

إني تطيب حياتكم في قومكم

والقدس ترسف في قيود الذلّة

لا تذهلنّكم الوقيعة إنها

مثل الخيال أو السراب بقيعة

قوموا أنسفوا ديّان في آماله

ولتنصروا الديّان رب العزّة. [1]

كما نجد نفس هذه النبرة الغاضبة الدّاعية إلى التحرر والانعتاق من براثن الضعف وتجاوز انكسارات الواقع إلى أبعاد تحررية خصبة في شعر " حسن الأمراني " متوعّدا بالعودة من جديد وإعلان الجهاد على الأرض الطّاهرة، فلم يكن الشاعر بعيدا عن بعث هذه الروح الثورية في النفوس للثّأر، بتعزيز روح الصمود ورفض مظاهر التخاذل والعودة بنصر مؤزّر في آخر المطاف، يقول:

1) _نكبة فلسطين في الشعر المغربي الحديث

هبّت النار على الأحرار

يسقط الآن الحصار

لا تقل نحن انتهينا

إننا نبتدئ الآن

وخوف الجرح نوّار وغار

إننا نفتح بوبة فلسطين المجيدة

إننا نرفع باسم الله فوق السور والصخرة

والقبة والقدس العتيد

راية التوحيد والعودة

فاقرأ سورة (الفتح) لقد حمّ القرار. [1]

1)_حسن الأمراني، ديوان الزمان الجديد، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1، 1988، ص 171.

وفي قصيدة أخرى له، استعان الشاعر ب "صلاح الدين الأيوبي"، كما أنه استحضر "خالد بن الوليد" بجعلهما رمزين فلسطينيين حاضرين، ووسيلتين لبعث الروح الثورية في النفوس، وهو يريد بذلك اكساب التجربة الشعرية دلالات خصبة، تنسجم مع أبعاد التجربة الشعرية المعاصرة في قوله:

كنّا من أغوار الجبّ نناديك

صلاح الدين

صلاح الدين

ناجيناك عسى تمنحنا سيفا

يقطع رأس التنين

لكنّك ما جئت

ولا في اليرموك تجلّى سيف الله البتّار

والنسوة خلف القوم بأسياف

تترصد من ولّى الأدبار

لكن أبصر صوتا يخترق الأحقاب

لن يبلغك القدس سوى درب واحد

سيف وكتاب. [1]

أمّا الشاعر "محمّد الحلوي" والذي كان له باع كبير في القضايا القومية التي حازت جانبا مهمّا في كتاباته، فقد بدت الناحية الانفعالية غالبة في شعره بندائه الأمّة إلى تجاوز دلالة الضعف والانهزام إلى الصمود والمقاومة بنبرة حادّة تنمّ عن بعد ثوري ذو طابع نضالي واضح يتجلى في قصائده، وفي ذلك يقول:

كفكف الدمع ولا تجزع لما حل

وخضها بثبات وصمود

جولة كانت وما أكثر جولاتك

1) _ حسن الأمراني، ديوان الزمان الجديد، ص 90.

يا ثائرا في هذا الوجود. [1]

ثم يعرج الشاعر إلى الحديث عن بطولات الأمّة التي لا تخشى المحن، وماضيها المزهر الذي كان شوكة في حلق بني صهيون منذ زمن، في صورة ملؤها الحدّة والسخرية من اليهود وماضيهم الخائب، موضّحا أن العرب لا يخافون من تدابيرهم المقيتة، ويندرج ذلك في إطار شحذ الوعي الوطني والقومي، وضرورة تحقيق النصر وجني ثمار الثورة بدحر المعتدي، من خلال قوله:

هل درت صهيون أنا عرب؟

لا يخافون نفايات اليهود؟

كيف تخشى الأسد في آجامها

صولة الأذوب أو زحف القرود؟

هل نسوا ماضينا فاستأسدوا

1) _نكبة فلسطين في الشعر المغربي الحديث.

أم نسوا ماضيهم تحت القيود. [1]

ويواصل الشاعر في وصف طبائع اليهود الخبيثة ويكشف لؤمهم وخبثهم في قوله:

لو تلجّى اللؤم في صورته

لتروه لم يكن يهودي

أو سألت الغدر عن منبعه

قال: إصداري عنهم وورودي. [2]

وفي نهاية القصيدة وجّه الشاعر خطابه إلى أمّة العرب مطالبا إيّاها برصّ الصفوف والاتحاد لمواجهة العدو، لأن في اتحاد الأمّة قوّة لا تضاهيها أيّة قوّة، فهذا الجرح سوف يندمل، وهذه النفس العربية الجريحة حان لها أن تنتصر على مغتصبها، مصوّرا ايمانها بالنصر وعزمها على الاستماتة في سبيل الظفر به يقول في ذلك:

وحّدوا الصف ففي وحدتكم

1) _نكبة فلسطين في الشعر المغربي الحديث.
2) _ نكبة فلسطين في الشعر المغربي الحديث.

قوة تصهر الدنيا من حديد

إن يكن يوما علينا فلنا

غدنا الحافل بالنصر المجيد.[1]

ونجد نفس النبرة عند الشاعر " محمّد المهدي العلوي" الذي دعا أمة العرب إلى الانتفاضة في وجه المعتدي، وخوض ميادين الوغى محاولا في ذلك اذكاء نار المقاومة في النفوس، وزرع روح الثأر، مهيبا بالعربي إلى خوض الحرب ضد المعتدي الذي تمادى في تدنيس المقدّسات، مع تحفيز مستمر للنضال والجهاد حتى زوال المحتل، فإمّا النصر أو الاستشهاد، هذا الأخير الذي عدّه الشاعر أنّه أسمى الأماني مصوّرا بذلك مكانة الشهيد في جنّات النعيم، حيث يقول:

أأخي انتفض واحم المجدا

واملئ حمى الوادي زئيرا مرعدا

1) _المرجع نفسه.

أأخي انتفض فعار أن يدا

س المسجد الأقصى بأقدام العدا

أو ما فلسطين كثغرة نحرنا

تبّت يدا من راشها تبت يدا

فرض علينا مسلمين ويعربا

أن ترتوي بدمائنا أو تفتدي

هل من سبيل للشهادة مثخنا

في ظلّها ولأثلها متوسّدا

تحلوا المنيّة في ثراها كوثرا

للمؤمنين كما اطمأنوا سجّدا

طوبى لهم تلك المضاجع أزلفت

في عليين مجاورين محمّدا

هذه جوانب من الشعر المغربي. [1]

شكّلت القدس بؤرة لدى الشعراء للتعبير عن حجم الكارثة التي حلّت في الوطن العربي والإسلامي،" **ومن بين الشعراء المعاصرين، تبدو قصيدة القدس للراحل "أحمد المجاطي" علامة فارقة في القصيدة المغربية الحديثة، هذا النص نشره الشاعر سنة (1967) حيث الإحساس بالفاجعة التي تفجّرت على المستوى القومي بالإدانة الكليّة للبنى الخائرة التي كرّست الهزيمة، باعتبار أن القدس تختزل كل المكوّنات التاريخية والدينية والسياسية والعروبية**"[2] ومن هذا المقطع الحزين الذي رسمه الشاعر في قصيدته، عبّر فيه عن الجو المأساوي الذي يطال القدس الشريف تحت أيدي الغدر، ممّا جعل الشاعر يرتدّ إلى عالمه الداخلي المفعم بمشاعر التمزّق والحزن والأسى راسما بذلك ملامح المأساة المنصهرة في الذات الشاعرة بلغة موحيّة يقول فيها :

مددت إليك فجرا من حنيني

[1] _ نكبة فلسطين في الشعر المغربي الحديث
[2] _ حسن الرمتوني، القدس في الشعر المغربي المعاصر.

للرّدى وغمست محراثي

ببطن الحوت

فأيّة عشوة نبضت بقلبي

في دم الصحراء وأي رجاء

تفسّخ في نقاء الموت

أشعل ظلمة التابوت

في عينيّ

فجئت إليك مدفونا

أنوء بضحكة القرصان

وبؤس الفجر

في وهران

وصمت الرّب أبحر في جوانب مكّة

أو طور سينين. [1]

كما نجد الشاعر "عبد الرحمن الدكّالي " يوجه سخطه على حكومات العرب الجائرة، المتفرقة، المتناحرة بخلافاتها التي أدّت إلى انشقاق الأمّة وضعفها، محمّلا إيّاها الحال التي آلت إليها البلدان العربية، ونتائج هذا التفرّق الذي أدّى إلى ضياع فلسطين في غفوة منها على يد عصابة الأوغاد، يقول في هذا الصدد:

داء الخلف وأي داء مثله

قد هدّنا بقطيعة وبعاد

هاذي النتائج ما نرى في مصر، في

أرض الشام وأردن الأمجاد

القدس بيت الله أول قبلة

قد دنت بعصابة الأوغاد

1)_ حسن الرمتوني، القدس في الشعر المغربي المعاصر، أحمد المجاطي نموذجا.

تلك المحابر والمنابر ضخّمت

بدماء من رغبوا في الاستشهاد. [1]

ثم يدعو بني العرب إلى الهبّة والاستعداد لمواجهة عدو يهودي متصهين وجب قتاله

بحق القرآن، وذلك في قوله:

يا أمّة الإسلامي في شرق الب

لاد وغربها يا أمّة الآساد

دين الرسول محمّد يدعوكم

لتسارعوا للبذل، للانجاد

هبوا لنصرة دينكم فعدوّكم

أضحى لهذا الدين بالمرصاد [2]

1)_ نكبة فلسطين في الشعر المغربي الحديث.
2)_ المرجع نفسه.

هذه جوانب من الشعر المغربي الذي تناول القضية الفلسطينية، ولعلّنا نلحظ جليّا في هذه النماذج الشعرية ذلك الجانب الثوري الذي يهز الوجدان، وذلك من خلال الآثار الشعورية الناتجة من الحروب ونهب الأرض والوطن، فأهوال المأساة حركت وجدان الشاعر المغربي فكانت مظاهرها مصدر الهام ووحي لهم.

خاتمة:

من خلال هذه المحطّات التي عرّجنا عليها في هذا البحث والتي حاولنا من خلالها الالمام بنتاج الشعراء العرب والمغاربة الذين تناولوا القضية الفلسطينية، توصلنا إلى جملة من النتائج، أهمها:

1) منحت القضية الفلسطينية للشعر المغاربي ديوانا دمويّا لا ينضب، حين واكب مراحل القضية منذ بدايات الجرح الفلسطيني ولا يزال، فخاضوا فيها من زاوية الشعور القومي والإنساني والدين الواحد.

2) كشف البحث عن رؤية الشّعراء العرب ومن ضمنهم الفلسطينيين والمغاربة في تركيب الهويّة الفلسطينيّة وتميّزها عن هويّة الآخر اليّهودي، بسبب دأب الاحتلال على تمزيقها وطمس ملامحها.

3) عبّر الشّعراء عن تجربة إنسانية نقيّة، ترفض الظّلم والتّنكيل بالإنسان، وتدعوا إلى الحرّية والحقّ والسّلام.

4) ربط الشّعراء بين التّجربة الذّاتيّة والقضيّة الفلسطينيّة فكلهم عاشوا فترة الاستعمار في بلدانهم، ممّا جعلهم يبدعون في التّعبير عن رآهم تجاه القضيّة.

5) إدراك الشعراء المغاربة أهمّية القضيّة الفلسطينيّة، فهي ليست قضيّة الفلسطينيّين فقط، بل هي قضيّة الأمّة العربيّة والإسلاميّة ككلّ.

6) وظف الشعراء الأساليب اللّغويّة والفنّية في أشعارهم، منها: أسلوب اليوميّات، وذلك للتّعبير الدّقيق عن أبعاد النفس الإنسانيّة وما يعتريها من حزن وأمل، ليساهموا في تشكيل الوعي العام والذّاكرة الجماعيّة، كما وظّفوا المفارقة التي تجعل ضحيّة الأمس تمارس فعل القتل على ضحيّة اليوم، ووظّفوا أساليب الاستفهام التي توحي إلى غموض فكرة الحياة في فلسطين.

7) إبراز موقف شعراء المغرب العربي ودورهم في الدّفاع عن الأرض المحتلّة، وتوظيفهم للتّاريخ العربي والإسلامي واستحضار التّناص الدّيني المستمدّ من القرآن الكريم (قصص الأنبياء) من أجل تجسيد صورة ومحنة الفلسطيني ومحنة شعبه الجسديّة والرّوحيّة.

قائمة المصادر والمراجع:

أ-المصادر:

1) أبو ريشة عمر، الديوان، مطبعة دار العودة، بيروت، لبنان، 1998.

2) البياتي عبد الوهاب، عيون الكلاب الميّتة، دار العودة، بيروت، لبنان، 1969.

3) البياتي عبد الوهاب، الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، 1995.

4) الرفاعي هاشم، الديوان، مكتبة المدار، الزرقاء، الأردن، ط2، 1985

5) الركيبي عبد الله، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

6) القاسم سميح، الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، 1987

7) الكرمي عبد الكريم، ديوان المشرّد، دمشق، سوريا، ج1، 1973.

8) الأمراني حسن، ديوان الزمان الجديد، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 1985.

9) آل خليفة محمّد العيد، ديوان شعر مطبوع، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1992.

10) بوزيدي محمّد، صوت الجزائر، المكتبة الوطنية الجزائرية للنشر، الجزائر، 1985.

حمود نور الدين، ديوان رحلة العبير، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1979.

11) خرفي صالح، أنت ليلاي، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1974.

12) درويش محمود، الديوان، دار العودة، بيروت، ج1، ط5، 1977.

13) درويش محمود، عابرون في كلام عابر، دار العودة، بيروت، ط2، 1994.

14) درويش محمود، الديوان (الأعمال الأولى) رياض الريّس للكتب، بيروت، لبنان، 2005.

15) زكريا مفدي، من وحي الأطلس، مطبعة الأنباء، المغرب، 1976

16) زكريا مفدي، اللهب المقدّس، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1961

17) سحنون أحمد، الديوان، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1920م

18) صمادح منور، نسر ونصر، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1962.

19) ابراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، لبنان 1993.

20) عبد الصبور صلاح، الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، ج1، 1973.

21) قباني نزار، الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، ط4، بيروت، لبنان، 1986.

22) قباني نزار، ديوان قصائد مغضوب عليها، منشورات نزار قباني، ط2، بيروت، لبنان، 1987.

23) مطر أحمد، المجموعة الشعرية الكاملة، دار الحريّة، بيروت، لبنان، ط1، 2011.

24) ناصر كمال، جراح تغنّي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1960.

ب/–المراجع:

1) إبراهيم الخليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، عثمان الأردن ط1، 2003

2) أبو جابر إبراهيم: المجتمع العربي في إسرائيل، المدخل الى القضية الفلسطينية، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان الأردن 1997

3) أحمد أبو حاقة: الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان 1979

4) أحمد موسى الخطيب: وهج القصيدة: دراسات في الشعر العربي المقاوم مكتبة عمان، الأردن 2010.

5) الركيبي عبد الله، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

6) الأشتر صالح: شعر النكبة، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، 1961

7) الأشتر صالح: مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر: مطبعة جامعة دمشق، سوريا1961

8) البندك مازن: أطلس الصراع العربي الصهيوني، دار القدس بيروت 1989

9) الحوت بيان: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1939/1928 مؤسسة الدراسات الفلسطينية 1981

10) الخولي لطفي: حرب يونيو 1967 بعد 30 سنة، مؤسسة الأهرام، مصر، ط1، 1997

11) الزبيري العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، اتحاد الكتّاب العرب، الجزائر، 1999.

12) السوافيري كامل: الشعر العربي في مأساة فلسطين، ط2، دار المعارف مصر،

13) الشيخ صالح يحي، شعر الثورة عند مفدي زكريا، دراسة فنيّة تحليلية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1987.

14) برّي حواس، شعر مفدي زكريا، دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1994.

15) بلوزة محمد الهاشمي: السؤال والصدى دراة في الشعر التونسي الحديث، الدار التونسية للنشر، تونس، 1992.

16) خرفي صالح، الجزائر والأصالة الثّوريّة، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1977م، ص49.

17)

18) دكروب محمد: الأدب الجديد والثورة، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1980

19) زيدان رقية: أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني، دار الهدى، مصر، ط1، 2009

20) سارتر جون بول: الدفاع عن المثقفين [تر]: جورج طرابيشي ، دار الآداب، بيروت، 1973

21) شعباني لوناس، تطورات الشعر الجزائري من سنة 1945 حتى سنة 1980، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1983.

22) شقروش شادية: خطاب الحداثة في الشعر التونسي المعاصر، دار الشرق للنشر، ط1، تونس، 2009

23) صالح خليل أبو أصبع: الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، جامعة فيلاديلفيا، عمان، الأردن، 2009

24) صالح محمد محسن: القضية الفلسطينية، خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ط2، 2012

25) غزوات عناد: افاق في الأدب والنقد، وزارة الاعلام والثقافة، بغداد، العراق، ط1، 1950

26) طه بدر عبد المحسن: حول الأديب والواقع، ط2، دار المعارف، مصر، 1981

27) مجموعة مؤلفين: دور الأدب في الوعي القومي العربي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1980

28) مجموعة مؤلفين: دور الأدب في معركة التحرر والبناء، مؤتمر الأدباء الخامس: مطبعة العاني، بغداد،1965

ج/ -الرّسائل الجامعيّة:

1-أمين صالح محمود عبد ربه، الغربة والحنين في الشّعر الفلسطيني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكّة المكرّمة، السعوديّة، 1977م.

2-علي أكرم فضل مهاني، العلاقات الصّهيونيّة البريطانيّة في فلسطين 1918م-1936م، مذكّرة ماجستير، جامعة الأقصى، غزّة فلسطين، (2010م).

د/-المجلاّت:

1) عبد اللّه الرّكيبي، فلسطين في النّثر الجزائري الحديث، مجلّة الثّقافة الجزائريّة، العدد27، جوان(1975م).

هـ/ المواقع الالكترونيّة:

1- http//: www. Adab. Com
2- http//: www. Amgadalarab. Com
3- http//: www. Hinouni blogspot. Com
4- http//: www/ palestineafree. Com
5- http//: www. Show. Com
6- http//: www. Wata. Com

7- http//: www.maghres.com

الموضوعات:

الصفحة :

شكر وتقدير

إهداء

مقدّمة.....

.....أ

الفصل الأول: تجليّات القضيّة الفلسطينيّة في الشعر العربي

المبحث الأوّل: الإطار التاريخي للقضية الفلسطينية.....**01**

- الانتداب البريطاني على أرض فلسطين، ووعد بلفور..... 02

_الثورة الفلسطينية

الكبرى.....04

-الاحتلال الإسرائيلي

الصهيوني.....05

_النّكبة.....

.....06

-انشاء منظمّة التحرير

الفلسطينيّة.....09

-

النّكسة.....

.....10

–الكفاح المسلّح الفلسطيني.....
12
– اجتيّاح لبنان.....
12.....
– الانتفاضة الأولى .....
14.....
– إعلان قيام دولة فلسطين.....
14.....
– اتّفاقيّات السّلام.....
15.....

- الانتفاضة الثّانيّة (انتفاضة الأقصى)

.....16

- العدوان على قطاع

غزّة.....16

- الانتفاضة

الثّالثة.....

16...

المبحث الثاني: تجليّات القضيّة الفلسطينيّة في الشعر العربي

القضية الفلسطينيّة في الشعر

العربي.....**18**

- تجليات النكبة في الشعر

العربي.....20

- تجليّات النكسة في الشعر العربي.....42

المبحث الثالث: تجليّات القضيّة الفلسطينية في شعر أبناء المقاومة.....50

-تجليات النكبة في شعر أبناء المقاومة.....51

- تجليّات النكسة في شعر أبناء المقاومة 68

الفصل الثّاني: تجليّات القضيّة الفلسطينيّة في الشعر المغاربي.

المبحث الأوّل:

تجليات القضية الفلسطينيّة في الشعر الجزائري.....79

المبحث الثّاني:

تجليات القضية الفلسطينية في الشعر التونسي.....108

المبحث الثالث:

تجليات القضية الفلسطينية في الشعر المغربي.....125

خاتمة.....

..... جـ

قائمة المصادر والمراجع.....

140

فهرس

الموضوعات.....

144.....

الملخص:

إن قضية فلسطين قضية العرب والمسلمين الأولى، في العصر الحديث وقد هزّت كيانهم ولازالت همّهم الأكبر، وكان أمرا طبيعيا ان انعكست على الأدب العربي والمغاربي ولا سيما الشعر، إذ تعد القضية الفلسطينية من بين أهم القضايا العربية البارزة في الشعر المغاربي الحديث والمعاصر، فساند الشعراء المغاربة القضية ونصروها من خلال عاطفتهم الإسلامية والقوميّة ووصفوا من خلال قصائدهم الواقع الفلسطيني وما فيه من آلام ومحن، منبهين ومندّدين بجرائم اليهود وتخاذل العرب عن هذه القضيّة، وقد استعانوا على توضيح مشاعرهم وأحاسيسهم بآلية التصوير التي ساهمت في إيصال الرسالة النبيلة التي يحملها الشعر من بوح ورفض لهذا الواقع الميؤوس الذي آلت إليه القضيّة الفلسطينية .

الكلمات المفاتيح:

القضية الفلسطينية، الشعر العربي، النكبة في الشعر العربي، النكسة في الشعر العربي، القضيّة الفلسطينيّة في شعر أبناء المقاومة، القضية الفلسطينية في الشعر الجزائري، في الشعر التونسي، المغربي.